جهود الإمام جلال الدين السيوطي البلاغية في المساواة والإيجاز والإطناب

الدكتورة / نجاح بنت أحمد الظهار
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية بالمدينة المنورة ــ جامعة الملك عبدالعزيز

مقـدمة :

كان للعرب حفاوة بالغة بفن القول وطرق التعبير وأدائه ،حتى يصل إلى قلب السامع ويؤثر فيه ، ومن تلك الطرق الإيجاز والإطناب ، فلكل منهما مقامه الذي يستوجبه فالإيجاز ليس محموداً في كل حال ، ولا بمختار في كل كتاب ، والإطناب ليس مذموماً في كل موضع، ولا مستهجناً في كل كلام فلكل مقام مقال . وعلى هذا كان أسلوب القرآن الكريم، فقد تراوح بين الإيجاز والإطناب بحسب ما يقتضيه الحال ، فأطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز ، وكرَّر تارة للإفهام[1]، فـ " ... القول القصد أنَّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام ، وكل نوع منه ، ولكل واحد منهما موضع فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ". [2]

لذا، ترجع أهمية هذا البحث إلى كون (المساواة والإيجاز والإطناب) أحد أبواب البلاغة الرئيسة الواسعة، التي لا يخلو منها أي عمل أدبي .

كما أنَّ هذا الباب، قد شغل كثيراً من البلاغيين والنقاد قديماً وحديثاً، حيث يرى بعض المعاصرين، أنَّ العربية ما عرفت الإطناب إلاَّ بعد امتزاج الثقافات واختلاط العرب بغيرهم.

وهذا الباب صعب دقيق المسلك، وقد قال عنه السكاكي: " أمَّا الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلاَّ بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيساً عليه، ولنسمه متعارف الأوساط " [3] ، وقول السكاكي هذا يوحي بأنَّه من الصعب أن نحدِّد القول بأنَّ هذا إيجاز وذاك إطناب، وإلى مثل هذا ذهب الخطيب القزويني في قوله: " واعلم أنَّه قد تشتبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته، فيعد من الزائد على أصل المراد ما ليس منه، كما مثَّله بعض الناس بقول القائل:" ولمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنَى كُلَّ حَاجَةٍ....إلخ" يبين أنَّه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر في شرحه... " . [4]

---

(١) أدب الكاتب، ابن قتيبة:١٥ .

(٢) الصناعتين : ٢٠٩.

(٣) المفتاح :تحقيق عبد الحميد هنداوي:٣٨٧ .

(٤)الإيضاح:١٧٨/٣-١٧٩.

ولأهمية هذا الدرس البلاغي في فنون القول وأدائه، نجد الإمام السيوطي يسهم إسهامات كبيرة ساعدت في تطوير هذا الدرس، وبيان أسراره ولطائفه .

وقد قامت الباحثة بعمل بحث عن جهود الإمام جلال الدين السيوطي في علم المعاني، لمست من خلاله جهوده الغنيَّة في باب (المساواة والإيجاز والإطناب)، فكان الحديث عنه هناك حديثاً موجزاً؛ لكونه ضمن جهوده و لم يسمح المقام بالتفصيل فيه؛ لذا آثرت الباحثة إفراده بالبحث إبرازاً لتلك الجهود .

ونظراً لحدود ومقام البحث الملزم بمنهجية معينة تتطلب التركيز والاختصار، عمدت الباحثة إلى :

* الاكتفاء بكتب السيوطي الثلاثة: الإتقان في علوم القرآن، ومعترك الأقران، وعقود الجمان؛ لأنَّها تناولت الموضوعات البلاغية - ومنها موضوع البحث - بشيء من التوسع والتفصيل .
* عدم ذكر جميع شواهد السيوطي التي أوردها، بل اكتفت الباحثة بما أضافه على التلخيص .
* الوقوف عند بعض تحليلاته البلاغية للدلالة على ذوقه البلاغي، لِيُستدل بالبعض على الكل. إضافة إلى أنَّ الباحثة لم تقف لتحليل جميع الشواهد نظراً لكثرتها، وهذه الوقفة تحتاج إلى بحث مستقل، ومقام البحث الحالي لا يسمح بذلك .
* الاكتفاء بتوثيق آراء من تأثر بهم السيوطي، وأكثر من الأخذ عنهم، حتى يتسنَّى لمن أراد أن يقارن بين هذه الآراء الوقوف على مدى تأثيرهم في بلاغة السيوطي، وهذا بحث مستقل بذاته .

وقد قسَّمت الباحثة البحث فصلين :

الفصل الأول : المساواة والإيجاز .

الفصل الثاني : الإطناب .

ثم ذيلته بخاتمة، تضم أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

الفصل الأول :المساواة والإيجاز :

يلاحظ بدءاً أنَّ السيوطي (ت ٩١١هـ) لم يلتزم نهج التسمية التي سار عليها صاحب التلخيص والإيضاح وأصحاب الشروح ، الذين عنونوا الباب بـ " الإيجاز والإطناب والمساواة " فقدموا مصطلح الإيجاز ، وثنُّوا بالإطناب وثلَّثوا بالمساواة . أمَّا السيوطي في كتابه شرح عقود الجمان فبدأ بالمساواة وثنَّى بالإطناب ، وثلَّث بالإيجاز من غير أن يبرِّر مسلكه هذا ، إلاَّ أنَّ شارح عقود الجمان عبد الرحمن العمري (ت ١٠٣٧هـ) ، علَّل لذلك بقوله : " ... وقد خالف الناظم أصله في الترجمة ، فقدَّمَ المساواة على أخويها ، والأصل قدَّمهما في الترجمة عليها ، ولكل وجه . أمَّا الوجه الذي رآه الناظم فقدَّم المساواة لأجله فهو ما ينتج من الترديد الذي ذكره هو هنا ، وذكره صاحب الأصل عند بيان حصر الكلام منها حيث قال : والأقرب أن يُقال : المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه ، وافٍ ، أو زائد عليه ؛ لفائدة ، فالأول المساواة ، والثاني الإيجاز والثالث الإطناب . فالمساواة فيه متقدمة عليهما كما تراه ، والوجه الذي لحظه صاحب الأصل في تقديمهما عليها هو توقف معرفتها على معرفتهما ، لأنَّه ما لم تعلم الزيادة التي هي عبارة عن الإطناب ، والنَّقص الذي هو عبارة عن الإيجاز بشرطهما الآتي بيانه ، لم تعرف المساواة إذ هي موقوفة عليهما " ولكل وجهة هو موليها "[١] .

ونجد السيوطي ينقل مقدمة الفصل عن ابن السبكي ، من غير أن يشير لذلك فقال : " هذا هو الباب الثامن ، وهو باب عظيم ، حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنَّ البلاغة هي الإيجاز والإطناب[٢]" [٣].

---

(١)شرح عقود الجمان ، عبد الرحمن العمري : ٢٢٦/١.

(٢)سر الفصاحة : ٥٠.

(٣)شرح عقود الجمان السيوطي : ٢٢٩/١.

ونَصُّ ابن السبكي (ت:٧٧٣هـ) هو : " هذا هو الباب الثامن ، والإيجاز والإطناب باب عظيم، حتى نقل صاحب سر الفصاحة أنَّ منهم من قال : البلاغة هي : الإيجاز والإطناب،كما قيل مثل ذلك في الفصل والوصل " (١).

وقبل أن يقدِّم تعريف كل من الإطناب والإيجاز، أورد ما أورده القزويني (ت:٧٣٩هـ) من أنَّه قد اختلف في حقيقتهما ،وجاء بقول السكاكي – وأضاف السيوطي أنَّ الطيبي (٢)(ت٧٤٣هـ) قد تبعه في قوله هذا – وهو " أنَّهما لكونهما من الأمور النسبية لا يتيسر الكلام فيهما ، إلاَّ بترك التحقيق والرجوع إلى أمرٍ عرفي ، وهو متعارف كلام الأوساط الذين ليسوا في مرتبة البلاغة .

فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها ، وتارة يرجع فيه إلى كون المقام خليقاً بأبسط ممَّا ذكر " (٣)

ثم يعرض السيوطي اعتراض القزويني في التلخيص على هذا القول بأنَّ فيه نظراً؛ لأنَّ كون الشيء نسبياً لا يقتضي تعسر تحقيق معناه ، والبناء على المتعارف ، والبسط الموصوف ردٌّ إلى الجهالة " (٤)

ويأخذ السيوطي في عرض اختلاف أهل العلم في المساواة ، هل يمكن عدَّها واسطة بين الإيجاز والإطناب ، أو لا ، أو هي قسم من الإيجاز ، قال : " واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة ، وهي المساواة أو لا ؟ وهي داخلة في قسم الإيجاز . فالسكاكي وجماعة على الأول ، لكنَّهم جعلوا المساواة غير محمودة

---

(١)عروس الأفراح (شروح التلخيص) : ١٦٠/٣.

(٢)التبيان : ٣١١.

(٣)المفتاح : ٣٨٧.

(٤)شرح عقود الجمان : ٢٢٩/١، التلخيص : ٢٠٩- ٢١٠.

ولا مذمومة ؛ لأنَّهم فسَّروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة ، وفسَّروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف .

والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقاً بالبسط ، وابن الأثير وجماعة على الثاني ، فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد ، والإطناب بلفظ أزيد [1]" [2].

ويظهر أنَّ السيوطي في نهاية المطاف ، استراح إلى رأي صاحب التلخيص في التعريف ، حيث قال : " وقال صاحب التلخيص الأقرب أن يقال : إنَّ المقبول من طرق التعبير عن المراد ، تأدية أصله إمَّا بلفظ مساوٍ له ، أي للأصل المراد ، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والأول المساواة ، والثاني الإيجاز ، والثالث الإطناب، واحترز بوافٍ عن الإخلال بأن يقصر اللفظ عن أداء الكلام على وجه يطابق مقتضى الحال" [3].

وإيراد السيوطي لتعريف القزويني متضمناً معنى المساواة ، مع ذكره لها في عنوان الفصل في شرح عقود الجمان ، يوحي باعتراف السيوطي بها ، ويظهر عدم تأثره برأي الطيبي الذي جعلها قسماً من الإيجاز ، متأثراً بذلك بابن الأثير (ت٦٣٧هـ) فردَّ في أرجوزته على السكاكي والطيبي اللذين يريان عدم المقدرة في تطبيق تعريف الإيجاز والإطناب على الواقع ، وكذلك رد على ابن الأثير والطيبي اللذين يريان جعل المساواة من الإيجاز فقال :

وَمَنْ نَفَى حَدَّهُمَا أَوْ ادَّعَى   فَقْدَ الْمُسَاوَاةِ فَلَنْ يُتْبَعَا [4]

---

(١)الإتقان : ١٤١/١، معترك الأقران : ١٣١/٢.

(٢)المثل السائر : ٣٦٧/٢، ٣٩٣.

(٣)الإتقان : ٦٩/٢-٧٠، شرح عقود الجمان : ٢٢٩/١.

(٤)شرح عقود الجمان : ٢٢٩/١، التلخيص : ٢٠٩، ٢١٠.

ويبدو أنّ السيوطي لم يكن في بداية الأمر معترفاً بالمساواة ، فهو في كتابيه (معترك الأقران ، والإتقان) اللذين ألّفهما قبل العقود [1]– فيما يبدو – لم يذكر مصطلح المساواة في عنوان الفصل ، بل كان العنوان في الإتقان : النوع السادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب " [2]

وذكر العنوان في المعترك (الوجه السادس والعشرون من وجوه إعجازه: إيجازه في آية ، وإطنابه في أخرى ، وهما من أعظم أنواع البلاغة) [3].

بل صرَّح فيهما بسبب عدم ذكره للمساواة ، وهو رجحان نفيها ، وعدم قبولها إضافة إلى أنّها لا تكاد توجد في القرآن الكريم ، قال : " فإن قلت : عدم ذكرك المساواة في الترجمة لماذا ؟ هل هو لرجحان نفيها ، أو عدم قبولها ، أو لأمر غير ذلك ؟

قلت : لهما ، ولأمر ثالث ، وهو أنّ المساواة لا تكاد توجد خصوصاً في القرآن ، وقد مثّل لها في التلخيص [4]بقوله تعالى:﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [5].

وفي الإيضاح[6]، بقوله تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [7] .

---

(١)شرح عقود الجمان : ٢٢٩/١.

(٢)الإتقان : ٦٩/٢.

(٣)معترك الأقران : ٢٢٢/١.

(٤)التلخيص : ٢١٣.

(٥)فاطر : ٤٣.

(٦)الإيضاح ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي : ١٨٠/٣.

(٧)الأنعام : ٦٨.

ويظهر اجتهاد السيوطي وثقافته ، وسعة اطّلاعه ، التي تظهر قدرته على التذوق في وقوفه على الآيتين السابقتين ، ومخالفته لصاحب التلخيص ، فذكر الاعتراضات على إدخالهما في باب المساواة ، وجلبه ردوداً عليها ، حيث رأى بعضهم أنّ في المثال إيجازاً بحذف المستثنى منه،وإطناباً بقوله السيء ؛ لأنّ المكر لا يكون إلاّ سيئاً ، ثم أجــاب على ذلك برأي سعد الدين التفتازاني (1) (ت٧٩١هــ) ، فقال : " واعتُرض على هذا المثال بأنّ فيه إيجازاً بحذف المستثنى منه ، وإطناباً بقوله السيء إذ المكر لا يكون إلاّ سيئاً ، وأجاب الشيخ سعد الدين عن الأول بأنّ هذا الحذف رعاية لأمر لفظي لا يفتقر إليه تأدية أصل المراد ، حتى لو صرَّح به لكان إطناباً ، بل تطويلاً ، ومثّل في الإيضاح بقوله تعالى : "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا " قيل وفيه حذف موصوف الذين، ويجاب بما تقدَّم " (2).

وكان قد أضاف على هذه الأجوبة في الإتقان والمعترك أنّ في الآية الأولى إيجازاً بالقصر ، قال : " ... وبالقصر في الاستثناء ، وبكونها حاثّة على كف الأذى عن جميع الناس ، محذرة عن جميع ما يؤدي إليه ، وبأنّ تقديرها يضر بصاحبه مَضَرّة بليغة فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيلية ، لأنّ يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل إلاّ في الأجسام " (3).

ولعل من الصواب أن نقول: إنّ كل أسلوب من أساليب القصر يكون من إيجاز القِصَر لأن جملة القَصر في قوة جملتين: إحداهما مثبتة، والثانية منفية وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير وابن السبكي (4).

---

(١)مختصر سعد الدين التفتازاني ،(شروح التلخيص): ١٨٢/٣-١٨٣.

(٢)شرح عقود الجمان : ٢٣١/١، الإتقان :٧٠/٢، المعترك : ٢٢٢/١- ٢٢٣.

(٣)الإتقان : ٧٠/٢، المعترك : ٢٢٣/١.

(٤)عروس الأفراح(شروح التلخيص) :١٨٩/٣ .

وممّا سبق نستطيع أن نقول :لقد رد السيوطي على من جعل المساواة من الإيجاز واعترف بها شأنه شأن من سبقه من علماء البلاغة الذين اعترفوا بها كالسكاكي والخطيب القزويني، وكذلك نراه قدَّمها في الحديث والتناول، فربما يرجع مسلكه هذا إلى أنّه رأى أنّ السكاكي جعلها المفتاح لتعريف الإيجاز والإطناب، وقد علل السعد ذلك بقوله:" قدَّمها لأنّها الأصل المقيس عليه" [١]، وعلى الرغم من ذلك نجده لا يحفل بها لرجحان نفيها، إضافة إلى أنّها لا تكاد توجد في القرآن ، فهي عنده لا تصل إلى مرتبة الإيجاز والإطناب . وهي عنده من الطرق المقبولة للتعبير عن أصل المعنى، لكنّه يخرجها من دائرة البلاغة وفن التعبير الأدبي الغني بالإيحاءات والدلالات . ونرى السيوطي ، يقف مرّةً أخرى مخالفاً لصاحب التلخيص، ويبدي رأيه في قول الشاعر: [٢]

والعَيشُ خَيرٌ في ظِلاَ ... لِ النَّوكِ ممَّن عَاشَ كَدًّا [٣]

فقد ذكر القزويني ، أنّ المراد العيش الناعم في ظلال الجهل ، خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، ولكن اللفظ غير وافٍ بذلك . [٤]

أمَّا السيوطي ، فقد رأى أنّ المقام يدل على المعنى مستقياً ذلك – أيضاً – من كلام سعد الدين التفتازاني [٥]غير أنّه أضاف أنّه من باب الاحتباك ، قال: " قلت: لكن المقام يدل عليه ، وهو من باب الاحتباك الآتي "[٦].

---

(١)مختصر السعد(شروح التلخيص) :٣/١٨٠-١٨١ .

(٢)الحارث بن حلِّزة .

(٣)والبيت في الديوان :

فَالنَّوكُ خَيْرٌ فِي ظِلاَ ... لِ العَيْشِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

انظر ديوانه :٤٧.

(٤)التلخيص : ٢١١ وشرح عقود الجمان : ١/٢٢٩.

(٥)المطول:٣٨٤.

(٦)شرح عقود الجمان : ١/٢٢٩.

ويظهر جهد السيوطي – أيضاً – عند حديثه عن الإيجاز في قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (١)، حيث ذكر الفرق بينها وبين قول العرب " القتل أنفى للقتل " وذكر الفروق السبعة التي أوردها صاحب التلخيص ، و لم يضف الوجه الثامن الذي ذكره في الإيضاح ، وهو " جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال (في) عليه " (٢).

ولكنَّه ذكر في شرح عقود الجمان أنَّ الشيخ بهاء الدين أوصلها إلى عشرين فرقاً (٣)من غير أن يفصّل القول فيها ، لكنَّه أوردها مفصَّلة في الإتقان (٤)، والمعترك (٥). وأضاف من عنده تقسيم الطيـــبي للإيجاز الخالي من الحذف وبأنَّه قسَّمه إلى ثلاثة أقسام :

" إيجاز قِصَر وهو أن يقصر اللفظ على معناه كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ ﴾ (٦) إلى قوله تعالى : ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (٧)جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة في وصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معناه ، قلت : وهذا رأي من يدخل المساواة في الإيجاز .

الثاني :إيجاز التقدير وهو أن يقدَّر معنى زائد على المنطوق،ويسمَّى بالتضييق -أيضاً- وبه سمَّاه في المصباح لأنَّه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من

---

(١)البقرة : ١٧٩.

(٢)الإيضاح ، تحقيق خفاجي : ١٨٥/٣.

(٣)شرح عقود الجمان : ٢٣١/١.

(٤)الإتقان : ٧٢/٢-٧٣.

(٥)المعترك : ٢٢٧-٢٢٩.

(٦)النمل : ٣٠.

(٧) النمل : ٣١.

معناه نحو﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ (١) أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢) أي للضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى ، وقال بعضهم في رجل بلغه عنه كلام قبيح الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب عليَّ ، ونزَّهني عن قول الحق فيه أي جعلني محسوداً له فكذب علي ، ومع هذا نزهني أن أقول ما فيه .

الثالث : الإيجاز الجامع ، وهو أن يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة نحو ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ (٣) الآية ، فإنَّ العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، المؤمن به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية .والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله : " أن تعبد الله كأنَّك تراه " (٤) أي تعبده مخلصاً في نيتك ، واقفاً في الخضوع ، آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى . وإيتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل . هذا في الأوامر ، وأمَّا النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية ، وبالمنكر الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرَّم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية " (٥).

وهنا تتدخل شخصية السيوطي الحديثية ، ذاكراً ما ورد في الحديث من فضل هذه الآية وأنَّها أجمع آية في القرآن للخير والشر ، فقال : " قلت : ولهذا

---

(١)البقرة : ٢٧٥.

(٢)البقرة : ٢.

(٣)النحل : ٩٠.

(٤)جزء من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان : ١٥/١، وكذلك أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : ٣٧/١.

(٥)شرح عقود الجمان : ٢٣٢/١-٢٣٣، التبيان : ٣١٨-٣١٩.

روى الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود ، قال : ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية . وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنّه قرأ يوماً هذه الآية، ثم وقف ، فقال : إنّ الله تعالى جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلاّ جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلاّ جمعه . وروى – أيضاً – عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين : بعثت بجوامع الكلم ، قال : بلغني أنّ جوامع الكلم أنّ الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين ، ونحو ذلك " [1].

ثم عاد السيوطي إلى كلام الطيـــبي، فاستدل على كلامه السابق بالشاهد [2] الذي جاء به الطيبي ، وهو قوله تعالى :﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ [3]الآية ، فإنَّها جامعة لمكارم الأخلاق ؛ لأنّ في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق ، واللين والرفق في الدعاء إلى الوالدين ، وفي الأمر بالعرف كف الأذى ، وغض البصر ، وما شاكلهما من المحرَّمات وفي الإعراض الصبر والحلم والتودد ، والآيات والأحاديث مشحونة بذلك " [4].

ونرى السيوطي في الإتقان [5]، ومعترك الأقران [6]، قد أورد أمثلة وشواهد عديدة على إيجاز القِصَر مع بيان أوجه الإيجاز فيها ،من مثل قوله تعالى:

---

(١)شرح عقود الجمان : ٢٣٣/١.

(٢)وهو من شواهد الإيضاح، انظر: الإيضاح:١٨٣/٣ .

(٣)الأعراف : ١٩٩.

(٤)شرح عقود الجمان : ٢٣٣/١، التبيان : ٣١٩.

(٥)الإتقان : ٧١/٢-٧٢.

(٦)المعترك : ٢٢٥/١-٢٢٦.

﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ [1] [2] فبيَّن أنَّ المولى عزَّ وجل أمر فيها ونهى ، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى ، وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى ، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام . وقد أفرد السيوطي هذه الآية بالتأليف .

ثمَّ استأنس بقول الكرماني (ت٥٠٠هـ) في العجائب : " أجمع المعاندون على أنَّ طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم ، فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها ، وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال [3]" [4].

ومن الأمثلة التي أوردها – أيضاً – قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ [5]، الآية ، جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام ، نَادت، وكنَّت ، ونبهَّت ، وسمَّت ، وأمرت ، وقصَّت ، وحذَّرت ، وخصَّت ، وعمَّت ، وأشارت وأعذرت .

فالنداء يا ، والكناية أي ، والتنبيه ها ، والتسمية النمل ، والأمر ادخلوا ، والقصص مساكنكم ، والتحذير لا يحطمنَّكم ، والتخصيص سليمان ، والتعميم جنوده ، والإشارة وهم، والعذر لا يشعرون . فأدَّت خمسة حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان " [6].

---

(١)هود : ٤٤.

(٢)الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الصفدي:١/٢٥٩-٢٦٠ .

(٣)غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمود بن حمزة الكرماني :١/٥٠٧.

(٤)المعترك : ١/٢٢٦، الإتقان : ٢/٧١.

(٥)النمل : ١٨.

(٦)المعترك : ١/٢٢٦، الإتقان : ٧١-٧٢.

كما أورد بالتحليل ، قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١)، وقوله:﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ (٢)، وقوله:﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ (٣)، وقوله :﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٤) ،وقوله:﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (٥) وقوله :﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٦)، وقوله :﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٧) وقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (٨).

والسيوطي الذي يفتخر بأنَّه رزق التَّبحُّر في سبعة علوم ، ومن بينها علم البلاغة ، يثبت لنا علميّاً هذا التَّبحُّر بما يورده من آراء العلماء وأقوالهم في النقطة الواحدة ، إثراء للموضوع، وإضفاء السعة على الذوق ، وكأنَّه بذلك يلمِّح إلى أنَّ مجال الذوق مفتوح في البلاغة لكل متمرس ، وأنَّ الذوق لا تحكمه قاعدة معينة ، ففي إيجاز القِصَر أشار إلى أنَّ بعض علماء البلاغة ، ذكروا مصطلحات وأنواعاً من البديع جعلوها من إيجاز القِصَر ومن ذلك : الإشارة ، والتضمين ، والاتساع ومنهم من جعل باب الحصر ، وباب التنازع وحذف المفعول

---

(١)الإخلاص : ١.

(٢)النازعات : ٣١.

(٣)الواقعة : ١٩.

(٤)الأعراف : ٣١.

(٥)الأعراف : ٣١.

(٦)القصص: ٧.

(٧)الحجر : ٩٤.

(٨)الزخرف : ٧١.

اختصاراً على جعل المتعدي كاللازم ، وجميع أدوات الاستفهام ، وألفاظ العموم ، كل ذلك من إيجاز القِصَر .

ولقد ذكر كل ذلك في آخر الفصل تحت عنوان " تنبيهات " ، فقال :

الأول ذَكَر قُدامة [1] من أنواع البديع الإشارة ، وفَسَّرَها بالإتيان بكلام قليل ذي معانٍ جمّة ، وهذا هو إيجاز القِصَر بعينه ، لكن فرَّق بينهما ابن أبي الإصبع بأنَّ الإيجاز دلالته مطابقة ، ودلالة الإشارة إمَّا تضمين أو التزام ، فعُلم منه أنَّ المراد به ما تقدم في مبحث المنطوق .

الثاني : ذكر القاضي أبو بكر في إعجاز القرآن [2] أنَّ من الإيجاز نوعاً يسمى التضمين وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكرٍ له باسم أو صفة هي عبارة عنه ، قال : وهو نوعان : **أحدهما** ما يُفهم من البنية ، كقولك : معلوم ، فإنَّه يوجب أنَّه لابد من عالم **والثاني** من معنى العبارة : كبسم الله الرحمن الرحيم، فإنَّه تضمَّن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

الثالث : ذكر ابن الأثير [3] ، وصاحب عروس الأفراح [4] وغيرهما أنَّ من أنواع إيجاز القِصَر باب الحصر ، سَواء كان بإلاَّ أو بإنَّما أو غيرهما من أدواته ؛ لأنَّ الجملة فيها نابت مناب جملتين . وباب العطف ؛ لأنَّ حرفه وضع للإغناء عن إعادة العوامل . وباب النائب عن الفاعل ؛ لأنَّه دل على الفاعل بإعطائه حكمه . وعلى المفعول بوضعه . وباب الضمير لأنَّه وضع للاستغناء عن الظاهر اختصاراً ، ولهذا لا يُعدل إلى المنفصل مكان المتصل وباب علمت أنَّك

---

(١)نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر : ١٥٤،١٥٥،ورد فيه : (وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ، أو لمحة تدل عليها) .

(٢)إعجاز القرآن : ٢٧٤.

(٣) لم أجده في المثل السائر .

(٤)عروس الأفراح (شروح التلخيص) : ١٨٩/٣.

قائم ؛ لأنَّه محل لاسم واحد سدَّ مسدَّ المفعولين من غير حذف . ومنها باب التنازع إذا لم تقدر على رأي الفراء . ومنها طرح المفعول اختصاراً على جعل المعتدي كاللازم وسيأتي تحريره . ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ، فإنَّ " كم مالك " ؟ يُغني عن قولك : أهو عشرون أم ثلاثون ؟ وهكذا إلى ما لا يتناهَى . ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد . ومنها لفظ التثنية والجمع ، فإنَّه يُغني عن تكرير المفرد ، وأقيم الحرفُ فيها مقامه اختصاراً .

وممَّا يصلح أن يُعد من أنواعه : المسمى بالاتساع من أنواع البديع ، وهو أن يأتي بكلام يتَّسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني كفواتح السور، ذكره ابن أبي الإصبع . (١) " (٢)

والسيوطي في الإتقان والمعترك ، قبل أن يبدأ الحديث عن إيجاز الحذف، أخذ يبيِّن أغراضه البلاغية مع إيراد الشواهد فذكر منها :

* مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .
* التنبيه على أنَّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأنَّ الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهم .
* التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام،وقد أورد هنا قول حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) في منهاج البلغاء " إنَّما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال ، وتُترك النفس تجول في الأشياء المكتفى

---

(١)تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع : ٣/٤٥٤-٤٥٦.

(٢)معترك الأقران : ١/٢٣٠،٢٣١ ، الإتقان : ٢/٧٣-٧٤ ، عروس الأفراح (شروح التلخيص) : ٣/ ١٩٠.

بالحال عن ذكرها. قال : ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهـــويل على النفوس [(١)]". [(٢)]

ومنها : التخفيف لكثرة دورانه في الكلام ، كما في حذف حرف النداء .

ومنها : كونه لا يصلح إلاّ له.

ومنها : شهرته حتى ذكره وعدمه سواء ، قال الزمخشري: " وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال " .

ومنها : صيانته عن ذكره تشريفاً .

ومنها : صيانة اللسان عنه تحقيراً له .

ومنها : قصد العموم .

ومنها : رعاية الفاصلة .

ومنها : قصد البيان بعد الإبهام . وذكر أنّه يكثر بعد فعل المشيئة والإرادة، وأوضح أنّ أهل البيان ذكروا أنّ مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلاّ إذا كان غريباً أو عظيماً . [(٣)]

وفي هذا المبحث تردَّد ذكر حازم القرطاجـــني ، والزمخـــشري (ت٥٣٨هـــ) وبهاءالدين السبكي ، والزملكاني (ت٦٥١هـــ) و التنوخي (ت٦٩٨هـــ) في الأقصى القريب، ثم ذيله بفائدة عن الشيخ عبدالقاهر الجرجاني(ت٤٧١هـــ وقيل٤٧٤هـــ) ذكر فيها:" مامن اسم حُذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلاّ وحذفه أحسن من ذكره[(٤)]" [(٥)].

---

(١)هذا الكلام من الجزء المفقود من الكتاب ، انظر منهاج البلغاء ، هامش رقم (٢) .ص ١٧٤.

(٢)المعترك : ٢٣١/١، الإتقان : ٧٤/٢-٧٥.

(٣)المعترك : ٢٣١/١، ٢٣٣.

(٤)دلائل الإعجاز، تحقيق :محمود شاكر : ١٥٢،١٥٣.

(٥)المعترك : ٢٣٣/١، الإتقان : ٧٥/٢.

كما ذكر أنَّ ابن جني [1](ت٣٩٢هـ) سمَّى الحذف شجاعة العربية لأنَّه يشجع على الكلام[2] .

ذكر القزويني في التلخيص أنَّ إيجاز الحذف يكون إمَّا بحذف جزء من الجملة، ويكون المحذوف إمَّا مضافاً ، أو موصوفاً ، أو صفة ، أو حذف الشرط ، أو جواب الشرط لغرض الاختصار ، أو للدلالة على أنَّه شيء لا يحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن .

وإمَّا أن يكون الحذف جملة مسببة عن مذكور أو سبب لمذكور ، وإمَّا أن يكون الحذف لأكثر من جملة [3] [4].

وأمَّا السيوطي ، فلم يكتف بذلك ، بل نراه يضيف لنا صوراً وأنواعاً من الحذف لم يذكرها صاحب التلخيص ، وتوسَّع في الحديث عن هذه الأنواع في كتابه المعترك والإتقان أكثر من حديثه عنها في شرح عقود الجمان ، بل نرى هذا ديدنه في معظم الفصول المشتركة بين هذه الكتب ، إذ يعمد للتفصيل في الكتابين عنه في الثالث . وأنواع الحذف التي ذكرها السيوطي في المعترك جعلها أربعة أنواع ، ضرب لها الأمثلة المحلَّلة التي أظهر فيها اللطائف البلاغية للحذف ، وهذه الأنواع لا نجد الحديث عنها دائراً في كتب البلاغة بهذا التفصيل ، وهذا التقسيم ، وهذه الغزارة في الأمثلة والشواهد .

---

(١)الخصائص : ابن جني : ٣٦٠/٢.

(٢)المعترك : ٢٣٤/١، الإتقان : ٧٥/٢.

(٣)التلخيص : ٢١٦،٢٢١.

(٤)ولعل الخطيب كان على علم بصور أخرى للحذف أكثر ممَّا ذكر، ولكنَّه اكتفى بالأشهر منها، بدليل قوله بعدها(أو غير ذلك) وذكر معها على سبيل المثال حذف المعطوف، وحذف(يا) في النداء. ويظل أيضاً للسيوطي جهده في بحثه عن ذلك الغير من أنواع الحذف .

فالأنواع التي ذكرها السيوطي هي : الاقتطاع ، الاكتفاء ، الاحتباك ، الاختزال . وتحت النوع الأخير أدخل حذف الكلمة ، والحرف ، والجملة ، وحذف أكثر من جملة .

قال السيوطي : " الحذف على أنواع ، أحدها : ما يسمى بالاقتطاع[1]، وهو حذف بعض أحرف الكلمة ، وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن [2] ورُدَّ بأنَّ بعضهم جعل منه فواتح السور، على القول بأنَّ كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى كما تقدَّم . وادَّعى بعضهم أنَّ الباء في قوله : ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [3] أول كلمة " بعض " ، ثم حذف الباقي ومنه قراءة بعضهم : ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ [4]" ونادَوا يا مال "[5] بالترخيم ، ولما سمعها بعض السلف ، قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم . وأجاب بعضهم بأنَّهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة . ويدخل في هذا النوع حذف همزة (أنا) في قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [6] [7]إذ الأصل " لكن أنا [8]" حذفت همزة أنا تخفيفاً وأدغمت النون في النون.

---

(١)ويرجع عدم تعرض كثير من علماء البلاغة إلى هذا النوع إلى إلحاقهم إياه بالفصاحة التي جعلها الخطيب مقدمة لدراسة البلاغة ، خلافاً للسكاكي، والبلاغة عندهم هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

(٢)ما ذكره ابن الأثير في (المثل السائر) : ٢/٣٦٦-٣٦٧قوله ":واعلم أنَّ العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القياس عليه .. فهذا أو أمثاله ممَّا يقبح ولا يحسن ، وإن كانت العرب قد استعملته فإنَّه لا يجوز لنا أن نستعمله " .

(٣)المائدة: ٦.

(٤)الزخرف : ٧٧.

(٥)إعراب القراءات الشواذ ، العكبري : ٢/٤٥٣.

(٦)الكهف : ٣٨.

(٧)إعراب القراءات الشواذ ، أبو البقاء العكبري : ٢/١٧.

(٨)المرجع السابق : ١/١٧.

ومثله : ما قرئ " ويمسك السماء أن تقع علّرض [١]" [٢]" بما أُنزِلْيك [٣] " [٤] "فمن تعجل في يومين فلَثم عليه[٥]" [٦]، "إنَّها لَحْدَى الكُبَر [٧]" [٨].

النوع الثاني : ما يسمى بالاكتفاء ، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة . ويختص غالباً بالارتباط العطفي ، كقوله تعالى:﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [٩]، أي والبرد ، وخصَّص الحر بالذكر ، لأنَّ الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم عندهم ، لأنَّه أشد من البرد . وقيل لأنَّ البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله :﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا﴾ [١٠]، وفي قوله:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [١١] ،وفي قوله:﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [١٢].

---

(١)الحج : ٦٥.

(٢)النشر في القراءات العشر ، الإمام الحافظ أبو الخير محمد ابن الجزري : ٢٣٨/١.

(٣)البقرة : ٤، النساء : ٦٠، ١٦٢ ، الرعد : ٣٦.

(٤)إعراب القراءات الشواذ ، أبو البقاء العكبري : ١١١/١.

(٥)البقرة : ٢٠٣.

(٦)إعراب القراءات الشواذ ، أبو البقاء العكبري : ٢٤١/١.

(٧)المدثر : ٣٥.

(٨)إعراب القراءات الشواذ ، أبو البقاء العكبري : ٢٤١/١.

(٩)النحل : ٨١.

(١٠)النحل : ٨٠.

(١١)النحل : ٨١.

(١٢)النحل : ٥.

ومن أمثلة هذا النوع :﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ ﴾ [1]أي والشر ، وإنَّما خصَّ الخير بالذكر؛لأنَّه مطلوب العباد ومرغوبهم ، أو لأنَّه أكثر وجوداً في العالم ، أو لأنَّ إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الآداب كما قال ﷺ : والشر ليس إليك .

ومنها :﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [2]، أي وما تحرَّك وخصَّ السكون بالذكر ؛ لأنَّه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد؛ ولأنَّ كل متحرك يصير إلى السكون .. " .

النوع الثالث: ما يسمى بالاحتباك ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ، وقلَّ من تنبَّه له أو نبَّه عليه من أهل البلاغة ، ولم أره إلاَّ في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي ، وذكره الزركشي في البرهان ، ولم يسمه هذا الاسم ، بل سماه " الحذف المقابلي " [3].

وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلاَّمة برهان الدين البقاعي الأندلسي في شرح البديعية ، قال : من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى :﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ [4]. التقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق،والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه .

(١)آل عمران : ٢٦.

(٢)الأنعام : ١٣.

(٣)البرهان للزركشي : ١٢٩/٣.

(٤)البقرة : ١٧١.

وقوله :﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ (١)، التقدير: تدخل غير بيضاء،وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ،ومن الثاني أخرجها .

وقال الزركشي(٢): هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى :﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (٣) التقدير: إن افتريته فعليَّ إجرامي، وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون" (٤).

وأضاف السيوطي مثالاً علّق عليه بأنّه من لطيف هذا الباب ، فقال : " قلت : ومن لطيفه : ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ (٥) ، أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله،وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت .

وفي الغرائب للكرماني في الآية الأولى (٦)التقدير : مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر ، وله في القرآن نظائر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام . انتهى " (٧) (٨).

---

(١)النمل : ١٢.

(٢)البرهان:٣/١٢٩.

(٣)هود : ٣٥.

(٤)المعترك : ١/٢٤١-٢٤٣.

(٥)آل عمران : ١٣.

(٦)وهي قوله تعالى : (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق) .

(٧)المعترك : ١/٢٤٣، ٢٤٤، الإتقان : ٢/٨٠.

(٨)غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمود الكرماني : ١/١٩١.

ثم تحدَّث السيوطي عن معنى هذا النوع في اللغة ، وأوضح ارتباط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي ، فقال : " ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام،وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سدُّ ما بين خيوطه من الثوب، وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق .

وبيان أخذه منه ، أنَّ مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرج من الخيوط ، فلمَّا أدركها الناقد البصير بصوغه ، الماهر في نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف موضعه ، كان حابكاً له ، مانعاً من خلل يطرقه ، فسدَّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق [(١)]" .

ونرى السيوطي في شرح عقود الجمان حين ذكر حذف الجار والمجرور مصرِّحاً بأخذه من الطيـــبي في قوله تعالى:﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [(٢)] أي صالحاً بسيء وآخر سيئاً بصالح [(٣)]علّق على هذا النوع بقوله : " قلت : وهذا هو النوع المسمى بالاحتباك وسيأتي في علم البديع [(٤)]".

ويتمثل جهد السيوطي في أنّه جعل (الاحتباك) من أنواع الإطناب، في حين نجد أنّ الغرناطي والبقاعي ذكراه في علم البديع .

أمَّا النوع الرابع من أنواع الحذف في تقسيم السيوطي ، هو ما سمَّاه بالاختزال " وهو ما ليس واحداً ممَّا سبق ، وهو أقسام لأنَّ المحذوف إمَّا كلمة اسم، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر[(٥)]".

---

(١)المعترك :١/٢٤٤، الإتقان : ٢/٨٠ .

(٢)التوبة : ١٠٢.

(٣)التبيان : ٣١٥- ٣١٧.

(٤)شرح عقود الجمان : ١/٢٣٧.

(٥)المعترك : ١/٢٤٤، الإتقان : ٢/٨٠.

وتحت حذف الاسم ذكر حذف المضاف ، وأشار إلى أنّ ابن جني قال : إنّ في القرآن منه زهاء ألف موضع[1]، وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات .

ثم ذكر حذف المضاف إليه ، ووضَّح أنَّه يكثر في ياء المتكلم ، وفي الغايات ، وفي أي، وكل ، وبعض .

وأضاف في شرح العــقود حذف المضاف والمضــاف إليه معاً نحو ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [2]، أي أثر حافر فرس الرسول[3].

ومضى السيوطي في ذكر حذف الاسم وجعل منه : حذف المبتدأ وأنَّه يكثر في جواب الاستفهام ، وبعد فاء الجواب وبعد القول ، وبعد ما الخبر صفة له في المعنى ، وفي غير ذلك ومنه حذف الخبر وجوباً في النعت المقطوع إلى الرفع.

ومنه حذف الموصوف ، وحذف الصفة ، وحذف المعطوف عليه وحذف المعطوف مع العاطف ، وحذف المبدل منه ، وحذف الفاعل ، وحذف المفعول ، وحذف الحال ، وحذف المنادى ، وحذف العائد ويقع في أربعة أبواب : الصلة ، والصفة ، والخبر ، والحال ، ومنه حذف مخصوص نعم ، حذف الموصول .

ثم استأنف الحديث عن حذف الفعل ، وأنَّه : يطَّرد إذا كان مفسراً ، ويكثر في جواب الاستفهام ، وكثر منه حذف القول ويأتي في غير ذلك [4] .

---

(١)ذكر ابن جني في الخصائص : ٣٦٢/٢، أنّ حذف المضاف كثير واسع .

(٢)طه : ٩٦.

(٣)المعترك : ٢٤٤/١- ٢٤٨، الإتقان : ٨٠/٢-٨١.

(٤)شرح عقود الجمان : ٢٣٧/١.

كما ذكر السيوطي حذف الحرف غير أنَّه ذكر أنَّ ابن جني في المحتسب أورد أنَّ حذف الحرف ليس بقياس ، لأنَّ الحروف إنَّما دخلت الكلام لضرب من الاختصار ، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً ، واختصار المختصر إجحاف به [1] .

ومن حذف الحرف :

أشار السيوطي إلى أنَّ من أنواع الحذف، حذف الحرف، و لم يضرب لذلك أمثلة، وإنَّما اكتفى بقوله: إنَّه كثير [2] وذكر منه:حذف همزة الاستفهام ، حذف الموصول الحرفي ، حذف العاطف ، حذف فاء الجواب،حذف حرف النداء ، وأوضح أنَّه كثير . كما ذكر أنَّ الكرماني بيَّن لطيفة حذف (يا) في القرآن من الرب وذلك للتنزيه والتعظيم ، لأنَّ في النداء طرفاً من الأمر . حذف (قد) في الماضي إذا وقع حالاً . حذف لا النافية ويطَّرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعاً، حذف لام التوطئة ، حذف لام الأمر ، حذف لام لقد ويحسن مع طول الكلام،حذف نون التوكيد ، حذف نون الجمع ، حذف التنوين ، حذف حركة الإعراب والبناء.

ثم ذكر من أنواع الحذف :

حذف مضافين ، حذف ثلاثة متضايفات ، حذف مفعولي باب ظن ، حذف الجار مع المجرور ، حذف حرف الشرط وفعله ويطَّرد بعد الطلب ، حذف جواب الشرط ، حذف جملة القسم ، حذف جوابه . حذف جملة مسببَّة عن المذكور ، حذف جمل كثيرة [3] .

---

(١)المحتسب : ١/٥١.

(٢)شرح عقود الجمان:١/٢٣٦-٢٣٧ .

(٣)المعترك : ١/٢٤٨-٢٥١، الإتقان : ٢/٨٢، ٨٣.

ومن الملاحظ أنّ السيوطي في شرح عقود الجمان لم يستطرد في الحديث عن الحذف،كما فعل في المعترك والإتقان ، ولم يتوسع فيه هذا التوسع، ولم يورد فيه أمثلة كثيرة كما هو الحال في الكتابين ،غير أنّه كان يشير إلى أخذه من الطيبي [١] والشيخ بهاء الدين[٢]حيث أخذ عنهما ما استشهد به على حذف الموصول،وهو قوله تعالى:﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [٣]، ثم أضاف أنّهم خرّجوا عليه قول هرقل:هذا يملك هذه الأمة قد ظهر أي الذي يملك [٤]. وهذا المثال لم يورده في المعترك والإتقان .

وممّا أخذه عن الطيبي [٥]قوله تعالى :﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [٦] في حذف المتعلق ، أيُّ الفريقين أبلغ في خير مقامه من الآخر في شره ، حيث أقيم المتعلق مقام متعلقه .

وممّا أخذه عن الطيبي [٧]والسكاكي [٨](ت٦٢٦هـ) مثال حذف الصلة وهو قولهم : جاء بعد اللتيا والتي [٩]، أي بعد الشدائد التي بلغت فظاعتها مبلغاً يبهت السامع فلا يدري ما يقول [١٠].

---

(١)التبيان : ٣١٧.

(٢)عروس الأفراح : ١٩٥/٣.

(٣)الرعد : ١٠.

(٤)شرح عقود الجمان : ٢٣/١.

(٥)التبيان : ٣١٧.

(٦)مريم : ٧٣.

(٧)التبيان : ٣١٧.

(٨)عروس الأفراح : ١٩٥/٣.

(٩)هو مثل يضرب عند الشدة وأصله : أنّ رجلاً تزوج امرأة قصيرة فقاسى معها الشدائد فتزوج بامرأة طويلة فقاسى معها ضعف ما قاسى من القصيرة ، فطلقها، فقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً / مجمع الأمثال للميداني١٤٩/١.

(١٠)شرح عقود الجمان : ٢٣٦/١.

كما تحدَّث عن كون المحذوف جزء كلمة ، مشيراً إلى أنَّ الطيـــبي قد ذكر هذا النوع .

ويتضح من ذلك أنَّ جهد السيوطي في المعترك والإتقان في هذا الباب كان أكثر نضجاً،وأوسع مجالاً ، وأرحب ميداناً من شرح العقود ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ الهدف من شرح العقود هو شرح كتاب بعينه وهو التلخيص ، فلا مجال للتوسع في الموضوع ، أمَّا في المعترك والإتقان فكانت الموضوعات مستقلة وبحاجة إلى جمع كل ما يدور حول الموضوع إثباتاً لإعجاز القرآن، وقد ذكر شوقي ضيف تعليلاً لذلك في قوله: (عني جلال الدين السيوطي المتوفى سنة(٩١١ هـــ) بوضع أرجوزة تختصر متن التلخيص مع ضم بعض الزيادات وسماها (الجمان) ووضع عليها شرحاً سماه (عقود الجمان) وهو فيه يستقي من معين الشروح والحواشي السالفة) [(١)].

وحقيقة فإنَّني لم أجد أحداً ممن سبق السيوطي أو عاصره أو جاء بعده ، قد صنع صنيعه ، وتحدث بهذا التفصيل ، وهذه الغزارة في الاستشهاد في باب الحذف ، وجَمَع المادة بهذا الحسن في التقسيم مع إيراد أنواع جديدة من أنواع الحذف .

* * *

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف:٣٥٧ .

الفصل الثاني :الإطناب :

لم يسر السيوطي على نهج السكاكي أو القزويني في تصنيف وترتيب موضوع الإطناب،فالسكاكي – مثلاً – تحدَّث عن الإطناب في طي حديثه عن الإيجاز وذكر أمثلة للإطناب ؛ ليوضِّح الفرق بينها وبين الإيجاز ، ولكنَّه أسهب في الحديث عن جعل باب نعم وبئس من باب الإطناب [(١)].

أمَّا القزويني ، فقد ابتدأ مباشرة بذكر أنواع الإطناب " الإيضاح بعد الإبهام " ؛ لِيُرى المعنى في صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن ؛ فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوَّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح،فتتوجَّه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقي كذلك تمكَّن فيها فضل تمكُّن ، وكان شعورها به أتم ، أو لِتكْمُل اللذة بالعلم به ، فإنَّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه ، تشوَّقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم،ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى،واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لايتقدَّمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه .." [(٢)]

وقد ذكر القزويني من أنواع الإطناب ثمانية أنواع ، وهي :

الإيضاح بعد الإبهام ، وجعل منه باب نعم وبئس ، ومنه التوشيع .

ذكر الخاص بعد العام .

التكرير ، ومن نكاته :تأكيد الإنذار .زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة لتكميل تلقي الكلام بالقبول .تكرير اللفظ لطول في الكلام .وقد يكرر لتعدد المتعلق .

---

(١) المفتاح : ١٣٥،١٣٧.

(٢)الإيضاح : ١٥١،١٥٢، تحقيق : رحاب عكاوي .

الإيغال .

التذييل .

التكميل .

التتميم .

الاعتراض ، ومنه : اعتراض في اعتراض .

أمَّا السيوطي ، فلم يلتزم بهذا الترتيب ، وهذا التصنيف . فقد تناول موضوع (الإطناب) بشيء من التفصيل في ثلاثة من كتبه، وهي : شرح عقود الجمان ، والمعترك ، والإتقان ، ونرى التطابق في الحديث في المعترك والإتقان ، أمَّا في شرح العقود ، فقد ذكره بطريقة أكثر اختصاراً من الكتابين السابقين ، و لم يرتبه نفس الترتيب ، فقد تحدَّث عن الموضوع بطريقة مباشرة حيث ابتدأه بقوله : "الإطناب يكون بأمور [1]" ، ثم أخذ يعرض أنواعاً للإطناب،هي: الإيضاح بعد الإبهام ، ومنه التوشيع ، ثم ذكر نوعاً من التوشيع أورده عبد الباقي اليمني ونبَّه السيوطي على نوع منه لم يرَ من نَبَّه إليه قبله .

كما نبَّه إلى أنواع خاصة من التكرير منها : الترديد ، التعطف ، الترجيع .

ومن الأنواع التي ذكرها أيضاً : التتميم ، والتكميل ، والاعتراض . وأضاف إلى نكات الاعتراض التَّسلّي ، والاستعطاف ؛ ثم عرض صوراً أخرى للاعتراض لم يذكرها صاحب التلخيص هي : أن يقع اعتراض في اعتراض ، ووقوع الاعتراض بثلاث جمل ، ووقوع الاعتراض بسبع جمل .

ومن أنواع الإطناب : تكثير الجمل،الإتيان بحروف التنبيه والصلات.هذا مجمل ما ذكره السيوطي من أمر الإطناب في العقود، أمَّا في المعترك والإتقان

---

(١) شرح عقود الجمان : ١/٢٣٧.

فنراه قد انتهج نفس نهجه في الإيجاز من حيث بسط الكلام عنه ، وتفصيل القول فيه والإحاطة بكثير من أنواعه،حتى أوصلها إلى واحد وعشرين نوعاً .

وسوف أتحدث فيما يلي عن الأنواع التي زادها السيوطي ، كما سأورد إضافاته على بعض أنواع الإطناب التي ذكرت عند القزويني واشتهرت في كتب البلاغة .

ففي المعترك والإتقان يظهر الدرس أكثر تنسيقاً ، وأغزر مادة ، فقد قسمه إلى بسط وزيادة ، قال : " كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر ، وإيجاز حذف ، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة " (١) .

وجعل من البسط الإطناب بتكثير الجمل (٢)، فقال: " فالأول الإطناب بتكثير الجمل كقوله :﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣) أبلغ في إطنابها لكون الخطاب مع الثقلين ، وفي كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل ، والموافق والمنافق .

وقوله:﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٤)، فقوله " ويؤمنون به " إطناب لأنّ إيمان حملة العرش معلوم ، وحسنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٥)وليس من المشركين مُزَكٍّ ، والنكتة الحث للمؤمنين على أدائها والتحذير من المنع منها حيث جعلها من أوصاف المشركين " (٦).

---

(١) المعترك : ٢٥٢/١، الإتقان : ٨٣/٢.

(٢) وهذا النوع وإن ذكره الخطيب في إيضاحه٢٢٢/٣، غير أنّه لم يضعه تحت قسم أو مسمًّى بعينه، بل ذكره ضمن عدد من الأنواع تحت عنوان عام(مواضيع أخرى للإطناب غير ما سبق) .

(٣) البقرة : ١٦٤.

(٤) غافر : ٧.

(٥) فصلت : ٦،٧.

(٦) المعترك : ٢٥٢/١، الإتقان : ٨٣/٢، شرح عقود الجمان : ٢٤٩/١- ٢٥٠ .

وهذا النوع قد أشار إليه في شرح العقود ، ولكن دون أن يضعه تحت تقسيم البسط ، بل ذكره في آخر الفصل بقوله : " قد يكون الإطناب بغير ما تقدَّم كتكثير الجمل ..." [1] ، ثم ذكر الأمثلة وتحليلها بنفس النص ، وزاد عليـــها ، قولـــه تعالى : ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ [2]

لتناسب القسم والمقسم به [3].

أمَّا النوع الثاني ، ويقصد به الزيادة ، فقد جعله على أنواع :

" أحدها : دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد الآتية في نوع الأدوات وهي : إنّ وأنّ ، ولام الابتداء ، والقسم ، وألا الاستفتاحية، وأما ، وها التنبيه ، وكأنّ في تأكيد التشبيه ولكن في تأكيد الاستدراك ، وليت في تأكيد التمني ، ولعل في تأكيد الترجي ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وإمَّا في تأكيد الشرط، وقد ، والسين ، وسوف ، والنونان في تأكيد الفعلية ، ولا التبرئة ، ولن ولَمّا في تأكيد النفي ، وإنَّما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب بها منكراً أو متردداً " [4].

ثم أخذ السيوطي يبسط القول في التأكيد بهذه الأحرف وتفاوته بحسب قوة الإنكار وضعفه ، وقد يؤكد بهذه الأحرف والمخاطب غير منكر ، وذلك لعدم جريه على مقتضى إقراره فيترّل مترلة المنكر ، وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأنّ معه أدلة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره[5]وضرب أمثلة وشواهد يبيِّن

---

(١)شرح عقود الجمان : ٢٤٩/١.

(٢)الزخرف : ١-٣.

(٣)شرح عقود الجمان : ٢٥٠/١.

(٤)المعترك : ٢٥٢/١، الإتقان : ٨٣/٢.

(٥)المعترك : ٢٥٣/١، الإتقان : ٨٤/٢.

فيها أسرار التوكيد بهذه الأحرف بحسب مواطنها ومواقعها ، فقد " يؤكد بها للمستشرف الطالب ، الذي قُدِّم له ما يلوِّح بالخبر فاستشرفت نفسه إليه ، نحو ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ ﴾ (1) أي لا تَدْعُني يا نوح في شأن قومك ، فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحاً ، ويُشعر بأنَّه قد حق عليهم العذاب ، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنَّهم هل صاروا محكوماً عليهم بذلك أم لا . فقيل : إنَّهم مغرقون – بالتأكيد .

وقد يؤكد لقصد الترغيب، نحو:﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ (2) أكد بأربع تأكيدات ترغيباً للعباد في التوبة (3).

ثم ذكر عدة فوائد في التوكيد منها : إذا اجتمعت إنَّ واللام كان بمترلة تكرير الجملة ثلاث مرات .

ونقل عن الكسائي (ت١٨٩هـ) أنَّ اللام لتوكيد الخبر ، وإنَّ لتوكيد الاسم وعن سيبويه (ت١٨٠هـ) وتبعه الزمخشري أنَّ التوكيد في (يا أيها) نابع من أن الألف والهاء لحقت (أيّا) توكيداً ، فكأنَّك كرَّرت (يا) مرتين ، وصار الاسم تنبيهاً .

ونقل عن الجرجاني (4)في كتابه نظم القرآن أنَّ اللام في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦﴾ (5)ليست اللام فيه للتأكيد ،

---

(1)هود : ٣٧.

(2)البقرة: ٣٧.

(3)المعترك : ٢٥٤/١، الإتقان : ٨٤/٢.

(4) لم أتمكن من معرفة من يقصد بالجرجاني، فالذين شاركوا في التأليف البلاغي من الجراجنة أكثر من واحد، والذي اشتهر أنَّ له كتاباً بعنوان(نظم القرآن) هو الجاحظ، ولكن يظهر أنَّ الكتاب مفقود، لم يصل إلينا، وأنَّه ضاع مع الأيام، ولا نعرف عنه شيئاً إلاَّ من كتبه الأخرى/انظر :قضية إعجاز القرآن وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة:١٥٧ .

(5) مريم : ٦٦.

فإنَّه منكر ، فكيف يحقق ما ينكر ، وإنَّما قاله حكاية لكلام النبي ﷺ الصادر منه بأداة التأكيد ، فحكاه ، فنزلت الآية على ذلك [1].

والحديث عن أدوات التوكيد وكونها من أنواع الإطناب ، ذكره السيوطي - أيضاً - في شرح عقود الجمان ، ولكن باختصار شديد ، حيث قال : " ومنه الإتيان بحروف التنبيه والصلات ، كلا أقسم ، فبما رحمة، ونحو ذلك " [2].

ثم أخذ السيوطي في المعترك والإتقان يذكر أنواع قسم الزيادة من الإطناب ، وهي:

*** دخول الأحرف الزائدة (وهو النوع الثاني عند السيوطي) :**

قال ابن جنِّي : كل حرف زيد في كلام العرب ، فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى.

وقال الزمخشري في كشَّافه القديم : الباء في خبر ما وليس لتأكيد النفي ، كما أنَّ اللام لتأكيد الإيجاب [3].

ثم أخذ يبين أسرار التأكيد بالحرف وأثره في المعنى ، قال : " وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه ، إذ إسقاطه لا يُخل بالمعنى ؟ فقال : هذا يعرفه أهل الطباع ، يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه ، قال : ونظيره العارف بوزن الشعر طبعاً إذا تغيَّر عليه البيت بنقصٍ أنكره .

وقال: " أجد في نفسي خلاف ما أجدها في إقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها ، ويجد في نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها " [4].

---

(١)المعترك : ١/٢٥٥، الإتقان : ٢/٨٤-٨٥.

(٢)شرح عقود الجمان : ١/٢٥٠.

(٣)المعترك : ١/٢٥٥، الإتقان : ٢/٨٥.

(٤)المعترك : ١/٢٥٥، الإتقان : ٢/٨٥.

وذكر السيوطي أنَّ زيادة الحروف والأفعال في الكلام قليل ، والأسماء أقل ، وقد نصَّ أكثر النحويين على أنَّها لا تزداد ، ووقع في كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع ، كلفظ (مثل) [1] في قوله تعالى :﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [2].

ومن الحروف الزائدة : إنْ ، وأنْ ، وإذ ، وإذا ، وإلى ، وأم ، والباء ، والفاء ، وفي واللام ، ولا ، وما ، ومن ، والواو .

أمَّا الأفعال ، فذكر أنَّ ممَّا يزاد منها (كان) ،و (أصبح) وعرض السيوطي قول الرماني (ت٣٨٤هـ)الذي ينفي أن تكون أصبح في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ [3]زائدة.وذكر تعليلاً لطيفاً لذلك وهو: أنَّ من به علة تزداد في الليل أن يرجوَ الفرج عند الصباح، فاستعمل أصبح ، لأنَّ الخسران حصل في الوقت الذي يرجو فيه الفرج ، لذا فهي ليست زائدة [4].

*** التأكيد الصناعي(وهو النوع الثالث عند السيوطي)، وهو على أربعة أقسام :**

أحدها : التوكيد المعنوي بكل ، وأجمع ، وكلا ، وكِلتا ، نحو﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [5]، وذكر السيوطي أنَّ فائدته في الأسلوب رفع توهم المجاز، وعدم الشمول .

---

(١)المعترك : ١/٢٥٦، الإتقان : ٢/٨٥.

(٢)البقرة : ١٣٧.

(٣)المائدة : ٥٣، لم أجد قول الرماني في النكت .

(٤)المعترك : ١/٢٥٥، الإتقان : ٢/٨٥.

(٥)الحجر : ٣٠.

ثم أورد رأي الفرَّاء بأنَّه ادَّعى أنَّ (كلهم) أفادت ذلك ، و(أجمعون) أفادت اجتماعهم على السجود ، وأنَّهم لم يسجدوا متفرقين .

ثانيها : التأكيد اللفظي،وهو تكرار اللفظ الأول،إمَّا بمرادفه، مثاله قوله تعالى : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾(1).

وإمَّا بلفظه ، فيكون في الاسم والفعل والحرف والجملة ، فالاسم نحو : قوارير قوارير دَكّاً دَكّاً ، صفّاً صفّاً ، والفعل نحو :﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾(2)، واسم الفعل ، نحو:﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(3) والحرف،نحو:﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾(4) والجملة نحو﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(5) ، والأحسن اقتران الثانية بثم ، نحو﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾(6).

ومن هذا النوع تأكـيد الضمير المتَّصل بالمنفصل ، نحو: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(7).

---

(1)الأنعام : ١٢٥.

(2)الطارق : ١٧.

(3)المؤمنون : ٣٦.

(4)هود : ١٠٨.

(5)الشرح : ٥،٦.

(6)الانفطار : ١٧،١٨.

(7)البقرة : ٣٥.

ثالثها : تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين . وفائدته : رفع توهم المجاز في الفعل ، بخلاف التوكيد السابق ، فإنَّه لرفع توهم المجاز في المسند إليه وبهذا ، فرَّق به ابن عصفور وغيره ، ورَدَّ به بعض أهل السنة [1] على بعض المعتزلة في دعوى نفي التكلُّم حقيقة في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2]، لأنَّ التوكيد رفع المجاز في الفعل .

ومن أمثلته ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [3]... وليس منـــه ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [4] بل هو جمع ظن ، لاختلاف أنواعه ، وأمَّا قوله تعـــالى :﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾ [5] فيحتمل أن يكون منه ، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن .

ثم ذكر السيوطي أنَّ الأصل في هذا النوع ، أن يُنعت بالوصف المراد ، مثل ﴿ ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [6].. ، وقد يضاف وصفه إليه مثل ﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [7]وقد يؤكد بمصدر فعل آخر ،أو اسم عين نيابة عن المصدر، نحو:﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [8]والمصدر تبتلا ، والتبتيل مصدر بتَّل .

---

(١)تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة:١١١ .

(٢)النساء : ١٦٤.

(٣)الأحزاب : ٥٦.

(٤)الأحزاب : ١٠.

(٥)الأنعام : ٨٠.

(٦)الأحزاب : ٤١.

(٧)آل عمران : ١٠٢.

(٨)المزمل : ٤٨.

رابعها : الحال المؤكدة ، نحو ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [1]، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٦٠﴾ [2]... وليس منه ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [3] لأنَّ التولي قد لا يكون إدباراً ، بدليل قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [4]، ولا ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [5]، لأنَّ التبسم قد لا يكون ضحكاً ، ولا : ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [6] لاختلاف المعنيين إذ كونه حقاً في نفسه غير كونه مصـــدقاً لما قبله [7].

ومن زيادات السيوطي — أيضاً — النوع الخامس من أنواع الإطناب بالزيادة وهو : الصفة ، وترد لأسباب خمسة هي :

١- التخصيص في النكرة ، نحو :﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [8].

٢- التوضيح في المعرفة، أي زيادة البيان ، نحو :﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ [9].

٣- المدح والثناء ، ومنه صفات الله تعالى ، نحو :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ

---

(١)مريم : ٣٣.

(٢)البقرة : ٦٠.

(٣)النمل : ١٠.

(٤)البقرة : ١٤٤.

(٥)النمل : ١٩.

(٦)البقرة : ٩١.

(٧)المعترك : ١/٢٥٦-٢٥٨، الإتقان : ٢/٨٥-٨٦.

(٨)النساء : ٩٢.

(٩)الأعراف : ١٥٨.

يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[1]... ومنه ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾[2]، فهذا الوصف للمدح وإظهار شرف الإسلام ، والتعريض باليهود ، وأنّهم بعدوا عن ملّة الإسلام الذي هو دينُ الأنبياء كلهم وأنّهم بمعزل عنها ،وهذا قول الزمخشري [3].

٤- الذم، نحو ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[4].

٥- التأكيد لرفع الإيهام ، نحو ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[5]، فإنّ إلهين للتثنية،فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك ، والإفادة أنّ النّهي عن اتخاذ إلهين، إنّما هو لمحض كونهما اثنين فقط ، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين ، أو غير ذلك ؛ ولأنّ الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ، فلو قيل : لا تتخذوا إلهين فقط ، لتـوهم أنّه نهي عن اتخاذ جنسين آلهة ، وإن جاز أن نتخذ من نوع واحـد عدداً آلهة ، ولهذا أكد بالـوحدة، قوله :﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[6]" [7].

ثم أورد السيوطي عدداً من الأمثلة والشواهد ، وبعض القاعدات والفوائد التي لا تخلو من نظرات بلاغية جميلة في الصفة ، فمن القاعدات التي ذكرها ، أنّ الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة ، فلا يقال رجل فصيح متكلم ، بل متكلم فصيح .

---

(١)الفاتحة : ١-٤.

(٢)المائدة : ٤٤.

(٣)الكشاف : ١/٦١٥.

(٤)النحل : ٩٨.

(٥)النحل : ٥١.

(٦)الأنعام : ١٩.

(٧)المعترك : ١/٢٦٦، الإتقان : ٢/٩٠.

وأنّه إذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولهما عدد جاز إجراؤها على المضاف ، وعلى المضاف إليه ، فمن الأولى ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾[1] ومن الثانية ﴿ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ ﴾[2].

ومن الفوائد : أنّه إذا تكررت النعوت لواحد ، فالأحسن إن تباعد معنى الصفات العطف،نحو ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾[3]، وإلا تركه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾[4]

إنّ قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها ، لأنّ المقام يقتضي الإطناب،ويكون المقصود أكمل إذا خولف في الإعراب لأنّ المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً ، ومثاله في المدح قوله تعالى :﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[5] ،ومثاله في الذم: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ ﴾[6].

***ومن زياداته – أيضاً – (البدل)(وهو النوع السادس عند السيوطي):**

والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وفائدته البيان والتأكيد .

---

(١)الملك : ٣.

(٢)يوسف : ٤٣.

(٣)الحديد : ٣.

(٤)القلم : ١٠-١٣.

(٥)النساء : ١٦٢.

(٦)المسد : ٤.

فأمَّا البيان فأمره واضح ، بأنَّك إذا قلت : رأيت زيداً أخاك، بيَّنت أنَّك تريد بزيد الأخ لا غير .

وأمَّا التأكيد فلأنَّه على نية تكرار العامل ، فكأنَّه من جملتين ؛ ولأنَّه دلّ على ما دلّ عليه الأول إمَّا بالمطابقة في بدل الكل ومثاله :﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

وإمَّا بالتضمين في بدل البعض ، ومثاله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[2].

أو بالاشتمال في بدل الاشتمال،ومثاله:﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾[3].

ويظهر لنا جهد السيوطي في إيجاده وتحليله لشاهد عثر عليه في القرآن الكريم عن بدل الكل من البعض ، فقال : وزاد بعضهم بدل الكل من البعض وقد وجدت له مثالاً في القرآن ، وهو قوله : ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾[4] ، فجنَّات عدن بدل من الجنَّة التي هي بعض ، وفائدته تقرير أنَّها جنّات كثيرة لا جنَّة واحدة ، وقال ابن السيد : وليس كل بدل يُقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه ، بل من

---

(١)الفاتحة : ٦.

(٢)آل عمران : ٩٧.

(٣)الكهف : ٦٣.

(٤)مريم : ٦٠،٦١

البدل ما يراد به التأكيد ، وإن كان ما قبله غنيّاً عنه ، كقوله :﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [1]، ألا ترى أنّه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في أنّ الصراط المستقيم هو صراط الله ، وقد نصَّ سيبويه على أنّ من البدل ما الغرض منه التأكيد" . [2]

ثم ذكر أنّ ابن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) جعل منه ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [3]ولكن أُجيب على هذا ، بأنّه لا بيان فيه ؛ لأنّ الأب لا يلتبس بغيره . ورُدَّ بأنّه قد يُطلق على الجد ، فأبدل لبيان إرادة الأب الحقيقية [4].

***عطف البيان (وهو النوع السابع عند السيوطي) :**

ذكر السيوطي أنّه كالصفة في الإيضاح ، لكن يفارقها في أنّه وُضِع ليدل على الإيضاح باسم مختص به ، بخلافها فإنّها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها .

ثم أورد قول ابن كيسان (ت٢٩٩هـ) وابن مالك (ت٦٨٦هـ) في التفريق بينه وبين البدل وضرب مثالاً له ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [5]، كما أشار إلى أن عطف البيان قد يأتي لمجرد المدح والإيضاح ، ومنه ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [6]، فالبيت الحرام عطف بيان للمدح والإيضاح[7].

---

(١)الشورى : ٥٢،٥٣.

(٢)المعترك : ٢٦٩/١، الإتقان : ٩١/٢.

(٣)الأنعام : ٧٤.

(٤)المعترك : ٢٦٨/١، الإتقان : ٩١/٢.

(٥)آل عمران : ٩٧.

(٦)المائدة : ٩٧.

(٧)المعترك : ٢٧٠/١، الإتقان : ٩١/٢.

***عطف أحد المترادفين على الآخر: (وهو النوع الثامن عند السيوطي) :**

ولقد نبَّه السيوطي إلى أنَّ القصد منه التأكيد – أيضاً – وجعل منه قوله تعالى :﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [1] ... وعرض السيوطي عدداً من الأمثلة والآيات لهذا النوع ، وختم الحديث عنه بالخلاف الحاصل في هذا النوع ، وأنَّ ثعلباً ذكر أنَّهما بمعنى واحد ، كما أنكر المبرد (ت٢٨٥هـ) وجود هذا النوع في القرآن الكريم ، وأنَّ ما ورد في ذلك من آيات إنما هو على اختلاف المعنيين .

وأنَّ بعضهم ذكر أنَّ ملخَّص القول في هذا ، أنَّه يحصل من مجموع المترادفين معنى لا يوجد عند انفراد كل منهما ، فبالتركيب يحصل معنى زائد ، لأنَّه إذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى ، فكذلك كثرة الألفاظ . [2]

*** عطف العام على الخاص(وهو النوع العاشر عند السيوطي):**

وهنا تظهر شخصية السيوطي البلاغية المستقلة ، فهو لم يتبع القزويني في عدم ذكر هذا النوع ، ولم يجار من أنكر وجوده ، بل ذكره وخطَّأ من انكره وبيَّن فائدته ، وضرب له الأمثلة . قال : (وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم ، وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه ومن أمثلته ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى** ﴾ [3]والنسك العبادة فهو أعم ..... وجعل منه الزمخشـــري [4] ﴿ **وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ** ﴾ [5] بعد قوله : ﴿ قل من يرزقكم ﴾ .

---

(١)يوسف : ٨٦.

(٢)المعترك : ١/٢٧٠-٢٧١، الإتقان : ٢/٩١-٩٢.

(٣)الأنعام : ١٦٢.

(٤)الكشاف : ٢/٢٣٦.

(٥)يونس : ٣١.

*التفسير(وهو النوع الثاني عشر عند السيوطي) :

وعرَّفه بتعريف أهل البيان،قال :" قال أهل البيان " وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيأتي بما يزيله ويفسره" [1]وضرب له أمثلة عدة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [2] فقوله "إذا مسه ...إلخ" تفسير للهلوع. ونقل السـيوطي ذلك عن أبي العالية وغيره [3]، ومن أمثلته – أيضاً - قوله تعالـى : ﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [4].

ونقل عن البيهقي (ت٤٥٨هـ) في شرح الأسماء قوله: ﴿لا تأخذه سنة..﴾ تفسيراً للقيوم [5] وقد أضاف أمثلة أخرى ، ثم علّق بأنّ هذا النوع في القرآن كثير [6] .

ونقل عن ابن جنّي قوله " ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقوف على ما قبلها دونها ؛ لأنّ تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له ، وجارٍ له مجرى بعض أجزائه " [7].

*وضع الظاهر موضع المضمر(وهو النوع الثالث عشر عند السيوطي):

ويظهر إعجابه بما أتي به ابن الصائغ (ت٧٧٦هـ) حيث ذكر أنّ له مؤلّفاً مفرداً للموضوع، ذكر فيه أنّ لوضع الظاهر موضع المضمر فوائد عديدة ، أورد

---

(١)المعترك : ٢٧٣/١، الإتقان : ٩٣/٢.

(٢)المعارج : ٢٠.

(٣)المعترك : ٢٧٣/١، الإتقان : ٩٣/٢.

(٤)البقرة : ٢٥٥.

(٥)الأسماء والصفات : للبيهقي : ٨٥/١.

(٦)المعترك : ٢٧٤/١، الإتقان : ٩٣/٢.

(٧)المعترك : ٢٧٤/١، الإتقان : ٩٣/٢.

منها السيوطي ست عشرة فائدة ، مع ضرب الأمثلة والشواهد ، وبيان الأسرار البلاغية فيها ، فمما أورده:

١- زيادة التقرير والتمكين ، نحو:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ ﴾ (١).

٢- قصد التعظيم ، نحو: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

٣- قصد الإهانة والتحقير، نحو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝﴾ (٣).

٤- إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنّه غير الأول ، نحو﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ ﴾ (٤)،" لم يقل منه لئلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ ، فيصير كأنّه مباشر يطلب خروجها وليس كذلك ، لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النَّفس الأبيَّة ، فأعيد لفظ الظاهر ؛ لنفي هذا . ولم يقل من وعائه لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف لأنه العائد إليه ضمير استخراجها " (٥).

٥- قصد تربية المهابة وادخال الرَّوع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك،ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (٦).

---

(١)الإخلاص : ١، ٢.

(٢)البقرة : ٢٨٢.

(٣)المجادلة : ١٩.

(٤)يونس : ٧٦.

(٥)المعترك : ١/٢٧٥، الإتقان : ٢/٩٣-٩٤.

(٦)النحل : ٩٠.

٦- قصد تقوية داعية المأمور ، ومنه قوله تعالى :﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١].

٧- تعظيم الأمر ، نحو قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٢].

٨- الاستلذاذ بذكره ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾[٣]ولم يقل منها ، ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

٩-قصد التَّوصُّل بالظاهر إلى الوصف،ومنه قوله تعالى :﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾[٤]بعد قوله :﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[٥]ولم يقل : آمنوا بالله ربي ، ليتمكّن من إجراء الصفات التي ذكرها ؛ ليُعلم أنّ الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو من وُصِف بهذه الصفات . ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك؛ لأنّه لا يوصف .

١٠- التنبيه على عِلّية الحكم ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[٦] ولم يقل (لهم) إعلاماً بأنّ من عادى هؤلاء فهو كافر، وإنّ الله إنّما عاداه لكفره .

---

(١)آل عمران : ١٥٩.

(٢)العنكبوت : ١٩.

(٣)الزمر : ٧٤.

(٤)الأعراف : ١٥٨.

(٥)الأعراف : ١٥٨.

(٦)البقرة : ٩٨.

١١- قصد العموم ، نحو قوله تعالى :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ .(١)

١٢- قصد الخصوص ، نحو قوله تعالى : ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾(٢) لم يقل (لك) تصريحاً بأنّه خاص به.

١٣- الإشارة إلى عدم دخول الجملة الأولى ، نحو قوله تعالى :﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ (٣) فإنَّ (ويمح الله) استئناف داخل في حكم الشرط .

١٤- مراعاة الجناس ، ومنه قوله تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ (٤)وقد ذكر ذلك الشيخ عز الدين . أمَّا ابن الصائغ ، فقد ضرب له مثالاً بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ثم قال:﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ (٥) فالمراد بالإنسان الأول الجنس،وبالثاني آدم، أو من يعلم الكتابة، أو إدريس، وبالثالث أبو جهل.

١٥- مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب ، ذكره بعضهم في قوله تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ ﴾ (٦) .

---

(١)يوسف : ٥٣.

(٢)الأحزاب : ٥٠.

(٣)الشورى : ٢٤.

(٤)الناس : ١.

(٥)العلق : ٢،٥،٦.

(٦)البقرة : ٢٨٢.

ويظهر لي أن الإتيان بالظاهر في موضع المضمر، ليس من البلاغة قصره على الصنعة اللفظية المتمثلة في الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب، فهذا تعليل شكلي لا يتغلغل إلى مضمون النص ولا يبرز قيمته الفنية، وقد تكلم كثير من علماء البلاغة في ذلك .

ويظهر لي أنّ مجيء المظهر في موضع المضمر في الآية، لتجسيد صورة التذكير وإبرازها، وجعلها واضحة للعيان، وكأنّ تلك المرأة المقصودة بالتذكير شاخصة ماثلة، وهذا أبلغ في التذكير. ويمكن أن يقال: إنّه حين ذكر لفظ الظاهر (إحداهما) وهو الفاعل وأبرزه في حال الضلال، ناسب أن يظهره ويبرزه في حال التذكير، وهي الصورة التي عليها معقد الكلام .

١٦-أنْ يتحمَّل ضميراً لابد منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ [(١)] فلو أنّه قال (استطعماها) لم يصح لأنهما لم يستطعما القرية ، أو استطعماهم فكذلك لأنّ جملة (استطعما) صفة لقرية النكرة لا لأهل ، لذا وجب أن يكون فيها ضمير يعود إليها ولا يمكن إلاّ مع التصريح بالظاهر.

ذكر السيوطي أنّ هذا القول ذكره السبكي حين أجاب على سؤال سأله إياه الصلاح الصفدي (ت٧٦٤هـ) [(٢)] .

ثم نبَّه السيوطي إلى أنّ إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه ، وضرب لذلك عدة أمثلة ، منها قوله تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ

---

(١)الكهف : ٧٧.

(٢)المعترك : ١/٢٧٤، ٢٧٧، الإتقان : ٢/٩٤-٩٥.

ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (١) فإنّ إنزال الخير مناسب للربوبية ، وأعاده بلفظ الله ؛ لأنّ تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلهية ؛ لأنّ دائرة الربوبية أوسع .

كما ذكر أنّ إعادة الظاهر بمعناه في جملة أخرى أحسن منه في الجملة الواحدة لانفصالها ، وبعد الطول أحسن من الإضمار حتى لا يبقى الذهن متشاغلاً بسبب ما يعود عليه ، فيفوته ما شرع فيه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ ﴾ (٢) بعد قوله :﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ (٣) .

***الطرد والعكس(وهو النوع السادس عشر عند السيوطي) :**

صرَّح السيوطي من بداية الأمر أنّه أخذه عن الطيــبي، قال: " قال الطيــبي : وهو أن يأتي بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس (٤)، كقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ ﴾ (٥)إلى قوله ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم ﴾ ، فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها ، وبالعكس ، وكذا قوله :﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١)البقرة : ١٠٥.

(٢)الأنعام : ٨٣.

(٣)المعترك : ١/٢٧٧-٢٧٨، الإتقان : ٢/٩٥.

(٤)التبيان : ٤٨٣.

(٥)النور : ٥٨.

(٦)التحريم : ٦.

ثم أضاف السيوطي من عنده أنّ هذا النوع يقابله في الإيجاز نوع الاحتباك .(١)

*** الاستقصاء (وهو النوع التاسع عشر عند السيوطي) :**

وهو أن يتناول المتكلم معنى يستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه ، بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتيه ، بحيث لم يترك بعده فيه مقالاً ، كقوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ﴾(٢)، فإنّه تعالى لو اقتصر على قوله "جنّة" لكان كافياً ، غير أنّه سبحانه لم يقف عند ذلك حتى قال مفسراً تلك الجنة " من نخيل وأعناب "، حتى يظهر ما فيها من جمال وخيرات فيكون مصاب صاحبها بها أعظم ،ثم زاد في وصفها: " تجري من تحتها الأنهار " إتماماً لوصفها ، ثم كمل وصفها بعد التتميمين،فقال : " له فيها من كل الثمرات " فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها، ثم قال في وصف صاحبها : " وأصابه الكبر " ، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر " وله ذرية ضعفاء " ، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال " فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت " ، ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنّه لا يحصل به سرعة الهلاك ، فقال : " فيه نار فاحترقت " ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها ، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله " فاحترقت " فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله.(٣)

---

(١)المعترك : ١/١٧٩، الإتقان : ٢/٩٥.

(٢)البقرة : ٢٦٦.

(٣)المعترك : ١/٢٨٠-٢٨١، الإتقان : ٢/٩٦.

ثم ذكر السيوطي رأي ابن أبي الإصبع (ت٥٨٩هـ) [١]في التفريق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل ، بأنّ التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم ، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه ، والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصي لوازمه وعوارضه وأسبابه وأوصافه ، حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه ، فلا يبقى لأحدٍ فيه مساغ . [٢]

*** التعليل (وهو النوع الحادي والعشرون عند السيوطي) :**

ذكر السيوطي أنّ السر البلاغي في هذا النوع ، والفائدة التي تفيض على المعنى والأسلوب هي : التقرير والأبلغية ؛ لأنّ النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها،وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وحروفه: اللام ، وإنّ ، وأنّ ، وإذ ، والباء ، وكي ، ومن ، ولعل.

وممّا يقتضي التعليل لفظ الحكمة، كقوله تعالى:﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ﴾ [٣]

وذكر الغاية من الخلق،نحو:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [٤] ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [٥] [٦].

فالسيوطي أضاف من جهده الشخصي ، ومن مخزونه البلاغي ثلاثة عشر نوعاً من الإطناب .

---

(١)تحرير التحبير : ١/١٢٧، ٣/٣٥٧ ، ٣/٥٤٠.

(٢)المعترك : ١/٢٨١، الإتقان : ٢/٩٧.

(٣)القمر : ٥.

(٤)البقرة : ٢٢.

(٥)النبأ : ٦،٧.

(٦)المعترك : ١/٢٨٢، الإتقان : ٢/٩٧.

وحتى الأنواع الثمانية التي ذكرها القزويني ، وأخذها عنه السيوطي ، نجده لا يقف عند حدود النقل ، بل يثريها بالأمثلة والشواهد ، والتحليلات ، أو بزيادة تعريف ، أو إضافة نكات ولطائف بلاغية ، أو مناقشات جرت في الموضوع بين العلماء ، ومن ذلك حديثه عن:

- التكرير :

فقد علّق السيوطي بأنّه أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة عنده ، خلافاً لمن رأى غير ذلك . (١)

وقد اهتم بالأغراض والأسرار البلاغية للتكرير ، فذكر أنّ له فوائد عديدة ، وضرب لذلك الأمثلة ، فمن الفوائد التي ذكرها :

- التقرير : فإنّ الكلام إذا تكرر تقرَّر ، ومن ذلك أنّ المولى عز وجل قد بيَّن السبب الذي لأجله كرَّر القصص والإنذار بقوله : ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (٢).

- التأكيد .

- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (٣)، فإنّه كرر فيه النداء لذلك . (٤)

- إذا طال الكلام وخُشي تناسي الأول ، أُعيد ثانياً تطرية له وتجديداً لعهده (٥)، وفي شرح عقود الجمان عبر السيوطي عن ذلك بقوله : " أو لطول الكلام لئلا يجيء

---

(١)المعترك : ١/٢٥٦، ٢٥٨، الإتقان : ٢/٨٦.

(٢)طه : ١١٣.

(٣)غافر : ٣٨،٣٩.

(٤)المعترك : ١/٢٨٥، ٢٥٩، الإتقان : ٢/٨٦.

(٥)المعترك : ١/٢٥٩، الإتقان : ٢/٨٦.

مبتوراً ليس له طلاوة "[1] ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

- التعظيم والتهويل ، نحو :﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ [3] ، ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ [4] ، ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [5].

وهذا الغرض لم يورده في شرح عقود الجمان ، وإنَّما ذكره في المعترك والإتقان ، وقد زاد السيوطي في العقود عدداً من فوائد وأغراض التكرير ، لم يذكرها في المعترك والإتقان، وهي :

- التنويه بشأن المذكور ، كحديث " إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم " [6].

وقول أبي الطيب (ت٣٥٤هـ) :

العارضُ الهتنُ ابن العارضِ الهتنِ ابن العارضِ الهتنِ بن العارضِ الهتنِ [7]

التلذذ بذكره ، كقوله [8]:

(١)شرح عقود الجمان : ٢٤١/١.

(٢)النحل : ١١٩.

(٣)الحاقة : ١-٢.

(٤)القارعة : ١-٢.

(٥)الواقعة : ٢٧.

(٦)رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما /صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن : ٢١٣/٣رقم ٤٦٨٨.

(٧)ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢١٦/٤.

(٨)نسبه ابن الأثير لمروان الأصغر /انظر : المثل السائر : ٢٧/٣

ومروان الأصغر هو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة(..نحو-٢٤٠هـ) ويقال لجده مروان ابن أبي حفصة مروان الأكبر ، له عدد من القصائد في المتوكل وأحمد ابن أبي داود / انظر ترجمته : معجم الشعراء المرزباني : ٣٩٩، الأعلام: ٢٠٩/٧ ، ونسبه الطيبي لمروان الأكبر جده /التبيان للطيبي:٤٨٠ .

سَقَى اللهُ نَجْداً والسَّلاَمُ على نَجْدِ ويَا حَبَّذَا نَجْد على النَّأي والبُعْدِ [1]

- أو إيقاع الجزاء نفس الشرط ، نحو قولهم :" من أدرك الصُّمان فقد أدرك "، أي أدرك مرعى ليس بعده مرعى، ومنه "وإن لم تفعل ، فما بلغت "، أي فقد ارتكبت أمراً عظيماً [2]. وحديث " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله " [3]

- أو بقصد الاستيعاب ، وذكر قول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) ، بأنَّ العرب تكرر الشيء مرتين ؛ لتستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دلَّ عليه اللفظ المذكور كقوله : بيَّنت له الكتاب كلمة كلمة ، أي مفصلاً باعتبار كلماته ، وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[4] أي مرة بعد مرة .

وتظهر شخصية السيوطي وفطنته البلاغية في ردِّه على من عدَّ التكرير من التوكيد بتكرار اللفظ ، والسيوطي يرى أنَّه نوع قائم بذاته ، قال : " فإن قلت : هذا النوع أحد أقسام النوع قبله ، فإنَّ منها التوكيد بتكرار اللفظ ، فلا يحسن عدّه نوعاً مستقلاً .

قلت : هو يجامعه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ، فصار أصلاً برأسه ، فإنَّه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدَّم في أمثلته ، وقد لا يكون تكراراً كما

= وهـو مـروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد ، كنيته أبو الهيذام أو أبو الهندام أوأبو السمط (١٠٥هـ-١٨٢هـ) ، كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم ، وقيل من موالي السموأل بن عاديا .

انظـر ترجمته : الشعر والشعراء : ٧٦٧/٢-٧٦٩، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٤٢-٥٤، الفهرست ابن النديم : ٢٢٨.

(١)البيت غير موجود في ديوان مروان بن أبي حفصة.

(٢)شرح عقود الجمان : ٢٤١/١.

(٣)صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ؛ ٥/١ رقم الحديث (١).

(٤)الملك : ٤.

تقدَّم - أيضاً - ، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة ، وإن كان مفيداً للتأكيد معنى [١].

وجعل من التـــكرير ما وقع فيه الفصل بين المكـــرَّرين ؛ لأنَّ التأكيد لا يفصـــل بينه وبين مؤكده، نحو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [٢] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣]، فالآيتان من باب التكرير لا التأكيد اللفظي الصناعي .

- ومنه الآيات المتقدمة في التكرير للطول [٤].

- ومن أنواع التكرير : الترديد ، وهو ما كان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرَّر ثانياً متعلّقاً بغير ما تعلّق به الأول ، كقوله تعالى :﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ ﴾ [٥] وقد وقع فيها الترديد أربع مرات .

وفي هذا النوع أورد شواهد أظهر فيها المحاسن البلاغية ، والأسرار الناتجة عن التكرير بالترديد ، فجعل منه قوله تعالى :﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [٦]، " فإنَّها تكررت نيفاً [٧] وثلاثين مرَّة ، كل واحدة تتعلّق بما قبلها ، ولذلك زادت

(١) المعترك : ١/٢٥٩، الإتقان : ٢/٨٦.

(٢) الحشر : ١٨.

(٣) آل عمران : ٤٢.

(٤) المعترك : ١/٢٥٩، الإتقان : ٢/٨٦.

(٥) النور : ٣٥.

(٦) الرحمن : ١٣،١٦،١٨،٢١،٢٣،٢٥،٢٨....

(٧) والصحيح أنها تكررت واحداً وثلاثين مرة، وليس نيفاً وثلاثين، والفرق بينهما لا يخفى .

على ثلاثة ولو كان عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأنَّ التأكيد لا يزيد عليها ؛ قاله ابن عبد السلام وغيره ، وإن كان بعضها ليس بنعمة . فَذِكْرُ النقمة للتحذير نعمة ، وقد سئل : أي نعمة في قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (١)، فأجاب بأجوبة أحسنها ، النقلةُ من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن من الكافر والبار من الفاجر ، وكذا قوله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٢) في سورة المرسلات ، لأنَّه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، كأنَّه قال عقب كل قصة : ويلٌ للمكذب بهذه القصة ..." (٣) .

وهذا النوع قد ذكره القزويني (٤)، ولكن من غير أن يطلق عليه مصطلح الترديد .

وإن كان القزويني قد أورد أسرار هذا النوع من التكرير ، فإنَّ السيوطي أتى بقول ابن عبد السلام إثراءً للموضوع .

كما ذكر – رأي الزمخشري – في تكرار مثل هذه الآيات ، بأنَّه " كرَّر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظاً وتنبيهاً ، وأنَّ كلاًّ من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به، وأن ينتبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة " (٥).

ونقل كذلك عن البهاء السبكي رأيه في ذلك ، قال : " قال في عروس الأفراح : فإن قلت : إذا كان المراد بكل ما قبله فليس بإطناب بل هي ألفاظ ، كل أريد به غير ما أريد بالآخر .

قلت : إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ ، فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر ، ولكن كرِّر ليكون نصاً فيما يليه وظاهراً في غيره .

---

(١) الرحمن : ٢٦.

(٢) المرسلات : ١٩.

(٣) المعترك : ١/٢٦٠، الإتقان : ٢/٨٧.

(٤) الإيضاح : ١٥٣،١٥٤.

(٥) المعترك : ١/٢٦٠، الإتقان : ٢/٨٧.

فإن قلت : يلزم التأكيد .

قلت : والأمر كذلك ، ولا يَرِدُ عليه أنَّ التأكيد لا يزاد عليه عن ذلك ؛ لأنَّ ذلك في التأكيد الذي هو تابع . أمَّا ذكرُ الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع" [1] انتهى .

ويدعم السيوطي - أي البهاء السبكي - برأي ابن جرير (ت٣١٠هـ) ، فقال : " ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير [2] في قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ إلى قـــوله : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [3][4].

حيث ذكر ابن جرير أنَّ وجـــه تكرار قوله: ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾ في آيتين إحداهما في أثر الأخرى ، هو اختلاف معنى الخبرين عمَّا في السموات والأرض ، وذلك أنَّ الخبر عنه في إحدى الآيتين ذِكر حاجته إلى بارئه ، وغِنَى بارئه عنه ، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه وعلمه به وبتدبره ، وأنَّه لم يكتف المولى عزَّ وجل بقوله تعالى: ﴿وكان الله غنياً حميداً وكفى بالله وكيلاً ﴾ ، لأنَّه ليس في الآية الأولى ما يصلح أن تُختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير [5].

ثم ذكر عدداً من الآيات أفاد أنَّه يُظن أنَّ فيها تكريراً وليس منه ، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ أَنتُمْ وَلَآ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ

(١) عروس الأفراح (شروح التلخيص) : ٣/٢١٩-٢٢٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري : ٥/٣١٩.

(٣) النساء : ١٣١،١٣٢.

(٤) المعترك : ١/٢٦١، الإتقان : ٢/٨٧.

(٥) المعترك : ١/٢٦١، الإتقان : ٢/٨٧.

﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ [1]، فإنّ لا أعبد ما تعبدون، أي في المستقبل ، ولا أنتم عابدون ، أي في الحال ، ما أعبد في المستقبل ، ولا أنا عابد، أي في الحال ، ما عبدتم في الماضي ، ولا أنتم عابدون ، أي في المستقبل ، ما أعبد، أي في الحال. فالقصد هو نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة [2].

ثم أورد آيات أخرى على نفس الموضع .

- ومن أنواع ما يظن أنّه تكرير وليس منه ، تكرير حرف الإضراب ، ومنه قوله تعالى :﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [3]

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، ثم قال :﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [4] فكرَّر الثاني ليعم كل مطلقة ، فإنّ الآية الأولى في المطلقات قبل الغرض والمسيس خاصة وقيل : لأنّ الأولى لا تشعر بالوجوب ، ولهذا لّما نزلت ، قال بعض الصحابة : إن شئت أحسنت ، وإن شئت فلا ، فنزلت الثانية ، قاله ابن جرير [5].

وممّا أضافه السيوطي من زياداته في أنواع التكرير ما ذكره في شرح عقود الجمان ، بقوله : " ثم نبهت من زيادتي – أيضاً – على أنواع خاصة من التكرير : **أحدها** : يسمى الترديد ....**ثانيها** : التعطف [6]، وهو مثل الترديد إلاّ أنّه يشترط في إعادة اللفظ أن يكون في فقرة أخرى ، أو مصراع آخر ، كقوله : [7]

---

(١)الكافرون:١-٦.

(٢)المعترك : ٢٦١/١، الإتقان : ٨٧/٢-٨٨.

(٣)الأنبياء: ٥.

(٤)البقرة: ٢٣٦،٢٤١.

(٥)تفسير ابن جرير : ٥٨٤/٢-٥٨٥.

(٦)ذكـر ابـن أبي الإصبع أنّ قوماً سموه بالمشاكلة .انظر : تحرير الحبير :٢٥٧/٢، الإيضاح :٢٦/٦،خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي :٤٣٥.

(٧)البيت لأبي الطيب المتنبي .

يُسَاقُ إليهِ المَدْحُ غَيْرَ مُكَرَّرٍ وَسُقْتُ إليهِ المَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمِ [(١)]

ثالثها : الترجيع ، قال الطيبي : وهو أن يكون المعنى مهتماً بشأنه فإذا شرع في نوع من الكلام نظر إلى ما يتخلص إليه ، فإذا تمكن من إيراده كرَّ إليه ، كقوله تعالى :﴿ **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ** ﴾ [(٢)]، قال الزمخشري [(٣)] في تجديد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده ، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب ، لا ينساه ، ولا يسهو عنه لقوته ، فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه ، فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ، ويتخلص إليه [(٤)]" [(٥)].

وفي المعترك والإتقان ذكر السيوطي – أيضاً – أنواعاً من التكرير ، ومن ذلك : تكرير الأمثال ، كتكرير ضرب مثل المنافقين أول البقرة [(٦)] بالمستوقدين ناراً ، ثم ضربه بأصحاب الصّيب ، قال الزمخشري ، والثاني أبلغ من الأول ، لأنَّه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ، قال : ولذلك أُخِّر ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ [(٧)].

ومن ذلك – أيضاً – تكرير القصص ، كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء ولقد قيل إنَّ موسى عليه السلام ، ذُكِر في مائة وعشرين موضعاً ، من القرآن ، وقصة نوح في خمسة وعشرين موضعاً وقصة موسى في تسعين آية .

---

(١)رواية الديوان :

فَسَاقَ إليَّ العُرفَ غَيرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إليهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ

وذكر العكبري أنَّ المجمجم الذي لا يفهم ، ولا يأتي على الوجه ، وجمجم كلامه : إذا عماه وستره انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري :٤/١٤٠

ورواية ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير :٢/٢٥٨:

فَسَاق إليَّ العُرفَ غيرَ مكَدَّرٍ وسُقتُ إليه المَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمِ

(٢)التوبة : ٨٥.

(٣)الكشاف : ٢/٢٠٧.

(٤)التبيان : ٤٧٧.

(٥)شرح عقود الجمان : ١/٢٤١، ٢٤٢.

(٦)البقرة: ١٧.

(٧)الكشاف : ١/٢١٣.

ثم ذكر السيوطي أن البدر بن جماعة (ت٨١٩هـ) قد ألَّف كتاباً سمَّــاه (المقتنص في فوائد تكرير القصص) ولعل من أهم تلك الفوائد ، قوله : " إنَّ في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ، وهذه عادة البلغاء" (١)

- ومنها : أنَّ تكرار القصص ساعد على انتشارها في الأصقاع وانتشار العبر التي فيها. فإنَّ الرجل كان يسمع القصة من القرآن ،فيعود إلى أهله ويخبرهم بها ، فيهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَن بعدهم ، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذا سائر القصص ، فأراد الله اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين .

- ومنها : أنَّ في إبراز الكلام الواحد في فنون وأساليب كثيرة مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة .

- ومنها : أنَّ الدواعي لا تتوافر نقلها كتوافرها على نقل الأحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

- ومنها : أنَّ في تكرار القصص إثبات عجز القوم عن الإتيان بمثل هذا القرآن بأي نظم جاءوا ، وبأي عبارة عبَّروا .

- ومنها : أنَّ القرآن تحدَّاهم بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ ، فلو أنَّه اكتفى بذكر القصة في موضع واحد لاحتج العربي وطالب هو بالإتيان بسورة أخرى من مثله، فنزلت القصة في تعداد السور دفعاً لمثل هذه الحجة من كل وجه .

- ومنها : أنَّ القصة الواحدة لما كُرِّرت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان،وتقديم وتأخير . وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج الأمر الواحد في صور متباينة في النظم ، وجذب النفوس إلى سماعهم لما جُبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن،حيث لم يحصل – مع ذلك التكرير فيه – هجنة في اللفظ، ولا ملل عند سماعه، فباين بذلك كلام المخلوقين .

أمَّا عن عدم تكرير قصة يوسف ، وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص ، فذكر لها خمسة أجوبة هي :

---

(١)المعترك : ١/٢٦٣، الإتقان : ٢/٨٨.

أحدها : أنَّ فيها تشبيب النسوة بأبدع الناس جمالاً ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر .

ثانيها : أنَّها اختصت بحصول الفَرَج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإنَّ مآلها إلى الوبال ، كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم ، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمة القصص .

ثالثها : أنَّ عدم تكرار قصة يوسف ، فيه إشارة إلى عجز العرب ، كأنَّ النبي ﷺ قال لهم : " إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلته في سائر القصص" .

رابعها : أنَّ سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم ، فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص ، من استيعاب القصة وترويح النفس بها، والإحاطة بطرفيها .

خامسها : وهو أقوى ما يجاب به : أنَّ قصص الأنبياء إنَّما كُرِّرت لأنَّ المقصود بها إفادة إهلاك من كذَّبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك ؛ لتكرير تكذيب الكفار للرسول ﷺ ، فلما كذبوا أنزلت قصة مُنذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ، ولهذا قال تعالى في آيات : ﴿ **فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾ [(١)]،﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ** ﴾ [(٢)] وقصة يوسف لم يُقصد منها ذلك .

وبهذا يُجاب – أيضاً – عن عدم تكرار قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح .

أمَّا عن سبب تكرار قصة ولادة يحيى ، وولادة عيسى مرتين ، وليس منها إفادة إهلاك من كذَّبوا ، فإنَّها كُرِّرت أولاً في سورة كهيعص ، وهي مكية أنزلت خطاباً لأهل مكة، وكرِّرت ثانياً في سورة آل عمران ، وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ،ولهذا اتصل بها ذكـــرُ المحاجة والمباهلة [(٣)] .

---

(١)الأنفال : ٣٨.

(٢)الأنعام : ٦.

(٣)المعترك : ١/٢٦٣-٢٦٥، الإتقان : ٢/٨٩.

ونلحظ نشاط السيوطي وجهده البلاغي عند حديثه عن (التوشيع) ، فقد ذكره القزويني في الإيضاح باختصار ، أمَّا السيوطي ، فلم يتناوله بالحديث في كتابه شرح عقود الجمان،فنراه استعان بمحفوظه من الأحاديث مع ذكر الرواة ، إضافة إلى الشواهد الشعرية،ولقد أسهب في عرض الشواهد من الحديث حتى بلغ ما ذكره منها ثلاثة عشر حديثاً ، وذكر حديثين في نوع جديد نبَّه إليه .

وقد عرَّفه لغة بقوله : " من الإيضاح بعد الإبهام التوشيع [(١)]، وهو لغة القطن المندوف ، واصطلاحاً أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول ، وقال في المصباح [(٢)]هو مأخوذ من الوشيعة ، وهي الطريقة في البرد ، كقوله ﷺ: " يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان الحرص وطول الأمل " رواه البخاري (ت٢٥٦هـ) من حديث أنس [(٣)] (ت٩٣هـ) ، وقوله : " عليكم بالشفاءين العسل والقرآن " رواه ابن ماجه [(٤)]، عن ابن مسعود (ت٣٢هـ) ، وقوله : " أكثر ما يُدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج " [(٥)] ، وقوله : " اقتلوا الأسودين الحية والعقرب " [(٦)]. رواهما الترمذي (ت٢٧٩هـ) وغيره ، وقوله : " الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب " رواه مسلم [(٧)][(٨)](ت٢٦١هـ) .

---

(١)ذكره ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير :٣١٦/٢، وابن حجة الحموي في خزانته :٢١١ .

(٢)المصباح: ٢٠٠.

(٣)وجدته في البخاري عن أنس بلفظ : (يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر) .
انظر : البخاري ، كتاب الرقاق – باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر -: ٤/ ١٩١،رقم ٦٤٢١. وفي صحيح سنن ابن ماجه بلفظ : (يهرم ابن آدم ويَشِبُّ منه اثنتان الحرص على المال ، والحرص على العمر) .
انظر :صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد – باب الأمل والأجل :١١٥/٣.

(٤)سنن ابن ماجه ، كتاب الطب – باب العسل - :١١٤٢/٢، رقم ٣٤٥٢، وذكر في الزوائد أنَّ إسناده صحيح ورجاله ثقات ، / انظر : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه تحقيق : محمد المنتقي الكشناوي ، كتاب الطب – باب العسل -: ٥٥/٤.

(٥)ورد في سنن ابن ماجه بلفظ (سُئل النبي ﷺ :ما أكثر ما يُدخل الجنة قال : التقوى وحسن الخُلق ، وسئل ما أكثر ما يُدخل النار ، قال : الأجوفان الفم والفرج) ، وهو حديث حسن /انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد – باب ذكر الذنوب - : ١٤١٨/٢، رقم ٤٢٤٦ صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد – باب ذكر الذنوب - :٤١٧/٢، رقم ٣٤٢٤-٤٢٤٦.

(٦)ورد في صحيح سنن ابن ماجه بلفظ :(عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة : العقرب والحية) انظر : صحيح سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها –باب ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة-:١/ ٢٠٨، رقم ١٠٢٩- ١٢٤٥.

(٧)ورد في صحيح مسلم بلفظ : (النخلة والعنبة) /انظر : صحيح مسلم ، كتاب الأشربة – باب بيان أنَّ جميع ما ينبذ من النخل والعنب يسمى خمراً : - ١٥٧٣/٣، رقم ١٣-١٤.

(٨)شرح عقود الجمان : ٢٣٨/١.

وقد اجتهد السيوطي في ضرب شواهد هذا النوع من التوشيع فأورد – أيضاً – ستة أمثلة من الشعر ، هي :

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مِنْ تذْكَارِكُم وَصِبَا   يَرْثِي لِيَ المُشْفِقَانُ الأَهْلُ والولدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذَكُّرِكُم   وَاعْتَادَنِي المُضْنِيَانِ الوَجْدُ وَالكَمَدُ
وَغَابَ عَنْ مُقْلَتِي نَومِي لِغَيْبَتِكُم   وَخَانَنِي المُسْعِدَانُ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ
لاَ غَرْوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِي غَوَارِبُه   وَتَحْتَهُ المُظْلِمَان (١)القَلْبُ وَالْكَبِدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي شِلْوٌ بِمَسْبَعَةٍ   يَنْتَابُها الضَّارِيَان الذِّئْبُ وَالأَسَدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِيِّ الرُّوحِ فِي جَسَدِي   فَدَلَكَ (٢) الباقِيَانِ الرُّوحُ وَالجسَدُ (٣)

ثم ذكر نوعاً من التوشيع أورده عبد الباقي اليمني (ت٧٤٣هـ) قال : " قال عبد الباقي اليمني ، وقد يجيء في آخر العجز والصدر معاً ، كقوله :

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ شَعْرٌ وَظُلْمَةٌ   وَشَمْسَين مِنْ خَمْرٍ وَوَجْهِ حَبِيْبِ (٤)

قال : وقد يجيء بدل المثنى بمعطوفين بعدهما معطوفان ، كقوله :

لِلّهِ لَيْلَتُنَا إِذْ صَاحِبَايَ بِهَا   بَدْرٌ وَ بَدْرٌ سَمَاوِيٌّ وَ أَرْضِيُّ (٥)

قال : وقد يفسَّر المثنى بمفرد مضاف ، كقول البحتري (ت٢٨٤هـ) :

وَمَتَى تُسَاهِمُنَا الوِصَالَ وَدُنُنَا   يَوْمَانِ يَوْمُ نوًى وَيَوْمُ صُدُودِ (٦)

و لم أرَ من ذكر هذه الفروع غيره " (٧).

---

(١)في تحرير التحبير (المُضْرِمانِ).

(٢)في تحرير التحبير (فِدىً لكَ).

(٣)وردت هذه الأبيات غير منسوبة في تحرير التحبير :٣١٦/٢، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي : ٢١١.

(٤) لم أقف عليه .

(٥)ذكره ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، مع أبيات أخر في باب جمع المختلفة والمؤتلفة /انظر : تحرير التحبير : ٣٤٧/٢.

(٦)رواية الديوان :

وَمَتَى يُسَاعِدُنا الوِصَالُ وَدَهْرُنَا   يَوْمَانِ يَوْمُ نَوًى وَيَوْمُ صُدُود

انظر : ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي : ٦٩٨/٢.

(٧)شرح عقود الجمان : ٢٣٨/١.

ونبَّه السيوطي بعد ذلك إلى نوع ذكر أنَّه لم يرَ من نبَّه عليه قبله ، أي أنَّه من اختراعه، وهو" أن يأتي بمثنين ومثنيين ثم بأربع مفردات اثنين للأولين ، واثنين للأخيرين، كحديث : " تعوذوا بالله من عذابين وفتنتين ، عذاب جهنم وعذاب القبر ، وفتنة الدَّجال ، وفتنة المحيا والممات " [1]، وحديث : " أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد،والكبد والطحال " رواه الحاكم [2] [3].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد ورد بألفاظ متعددة ، منها ما روي في صحيح مسلم : (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدَّجال) رواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب ما يستعاذ منه في الصلاة - : ٤١٢/١، رقم ٥٨٨.

وورد بلفظ : (اللهم إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر ، وعذاب النار وفتنة المحيا والممات،ومن شر المسيح الدَّجال) /انظر :صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب ما يستعاذ منه في الصلاة : ٤١٢/١ رقم ٥٨٨.

وكذلك ورد بألفاظ أخرى - غير التي أوردها السيوطي - عند الترمذي – كتاب الدعوات، رقم ٣٤١٦ ، والنسائي – كتاب الجنائز ، رقم ٢٠٣٣، وكتاب الاستعاذة رقم ٥٤٢٣ ، وسنن أبي داود – كتاب الصلاة – رقم ٨٣٣-٨٣٤، وسنن ابن ماجه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – رقم ٨٩٩، وكتاب الدعاء ، رقم ٣٨٣٠، ومسند أحمد من مسند بني هاشم ، رقم ٢٠٦٠ ورقم ٢٥٧٤، ٢٦٤٢، مسند أحمد - مسند الأنصار - رقم ٢٠٦٧١ ، وموطأ مالك –كتاب النداء للصلاة - ، رقم ٤٥٠.

(٢) لم أقف عليه عند الحاكم ، لكن رواه أحمد ، والشافعي ، وابن ماجه ، والدار قطني،والبيهقي ، من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر ، ورواه الدار قطني من رواية سليمان بن بلال بن زيد بن أسلم موقوفاً ، قال : وهو أصح ، وكذا صح الموقوف أبو زرعة ، وأبو حاتم وعبد الرحمن بن زيد متروك ، وقال أحمد حديثه منكر ، وقال البيهقي : رفع هذا الحديث أولاد زيد بن أسلم : عبد الله وعبد الرحمن وأسامة ، وقد ضعفهم ابن معين . والكلام يطول حول هذا الحديث فراجعه في التلخيص ونصب الراية /انظر : مسند الإمام أحمد : ٩٧/٢، مسند الإمام الشافعي : ٣٤٠ .سنن ابن ماجه : كتاب الأطعمة – باب الكبد والطحال - : ١١٠٢/٢، سنن الدار قطني ، باب الصيد والذبائح : ٢٧١/٤، التلخيص الحبير : ٢٦/١، نصب الراية : ٢٠٢/٤، التعليق المغني على الدار قطني: ٢٧٢/٤.

(٣)شرح عقود الجمان : ٢٣٩/١.

ونرى تمكُّن السيوطي من علم البديع ، وميله له ، في مناقشاته التي يسوقها كلما سمح له المجال بذلك ، فهو لا يكتفي بعرض الآراء ، وإنَّما نراه بعد ذلك العرض يثبت رأيه في الموضوع ، فعند حديثه عن أسباب الإطناب ، ومرور ذكر التذييل والتكميل والتتميم ، لم يفته أن يأتي بآراء العلماء في التفرقة بين التكميل والتتميم والاحتراس ، فجاء برأي بهاء الدين السبكي ، ورأي ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) ، ورأي عبد الباقي اليمني ، ثم ذيَّل الكلام برأيه هو في الموضوع ، إذ صرَّح بعد سرد تلك الأقوال بأنَّه لا فرق عنده بين الاحتراس والتكميل . موافقاً بذلك الخطيب القزويني [١] ، قال السيوطي: " قال الشيخ بهاء الدين : ليت شعري أي فرق في اللغة بين التكميل والتتميم وهما شيء واحد ، ثم قال : ويمكن أن يفرق بأن التكميل استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية إلاَّ بها .

والتتميم لما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشيء الكامل ، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [٢]، أي لم تنقص أجزاؤها ، وقوله تعالى :﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [٣]، روى إتمامهما أن يحرم بهما من دويرة أهله ، وهو وصف فيه زيادة على الأجزاء ، فإنَّ ما هيتي الحج والعمرة توجدان بدونه ، وقد جمع تعالى بينهما بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [٤]، لمَّا كانت أركان الدين وجد منها الجزء الأخير إذ ذاك استعمل فيه الكمال ؛ ولمَّا كانت نعم الله تعالى حاصلة للمؤمنين قبل

(١) الإيضاح:٢٠٨/٣.

(٢) البقرة : ١٩٦.

(٣) البقرة : ١٩٦.

(٤) المائدة : ٣.

ذلك اليوم غير ناقصة ، استعمل فيها الإتمام ؛ لأنّه زيادة على نعم الله التي كانت قبل كاملة. قال : فإن تمّ هذا ظهر وجه تسمية الأول بالتكميل ، لأنّه يدفع إيهام غير المراد ، وذلك كالجزء من المراد إذ الكلام إذا أوهم خلاف المراد كان كالذي دلالته ناقصة ، بخلاف التتميم [1]" [2].

ثم أشار السيوطي ، إلى أنّ التكميل قد يسمى احتراساً ، ولكن قوماً من أصحاب البديعيات فرقوا بينهما ، ومن أولئك ابن حجة الحموي ، قال السيوطي:" قال ابن حجة [3] : التكميل يأتي لنقص المعنى والوزن معاً ، والاحتراس لدخل يتطرق المعنى ، وإن كان كلاماً تاماً ، ووزن الشعر صحيحاً " [4].

والسيوطي البديعي يصرِّح برأيه ، بأنّ الفرق الذي ذكره ابن حجة غير واضح " قلت : وهذا فرق غير واضح " [5].

ثم ذكر رأي عبد الباقي اليمني في التفرقة بين التتميم والتكميل والاحتراس ، فبدأ كلامه قائلاً :" لا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء ، التتميم والتكميل والاحتراس لتداخلها " [6] ، ثم أنشأ يبين أقسام التتميم ، وهو عنده على ثلاثة أنواع :

الأول : تتميم المعنى للمبالغة .

الثاني : تتميمه للصيانة عن الخطأ ، كقوله – غير مفسدها – .

---

(١)عروس الأفراح (شروح التلخيص) :٣/٢٣٦-٢٣٧.

(٢)شرح عقود الجمان : ١/٢٤٦.

(٣)تحرير التحبير : ٢/٢٤٥.

(٤)شرح عقود الجمان : ١/٢٤٦.

(٥)المرجع السابق : ١/٢٤٦.

(٦)المرجع السابق : ١/٢٤٦.

الثالث : تتميم اللفظ بما يقوم به الوزن ، فمنه حشو لطيف ، وهو حشو اللوزينج، كقوله: " يرى كل من فيها – وحاشاك – زائلا " ومنها ، ما لا يعد بديعاً .

ثم فسَّر الاحتراس : بأن يؤتى بمدح أو غيره بكلام للانتقاد فيه مجال فيحترس من ذلك بكلام آخر ، كما في حديث أم زرع " المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب وأَغْلبه والناس يَغْلِبُ " [1] فلو اقتصرت على قولها وأغلبه ؛لتوجه عليها أن يقال : إنَّ رجلاً تغلبه امرأة لضعيف ، فاحترست بقولها : والناس يغلب .

وقول الخنساء (ت٢٤هـ) :

وَلَوْلاَ [2] كَثْرَةُ البَاكِينَ حَولِي   عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي [3]

كأنَّها فطنت أن يقال لها لقد ساويت أخاك بالهالكين ، فاحترست بقولها :

وَمَا يَكُونُ مِثْلُ أَخِي وَلَكِنْ   أُعَزِّي نَفْسِي عَنْهُ بِالتَّأَسِّي [4]

ثم فسَّر عبد الباقي اليمني التكميل : بأن يؤتى بكلام ناقص من جهة مفهومه ، فيكمله بجملة ترفع عنه النقص ، كقوله [5] : " وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ [6]" ، فلو اقتصر عليه لكان وصفاً لقومه بالصبر على القتل دون الانتصار ، فكمَّله بقوله : " وَلاَطُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ " [7] .

---

(١)والعبارة الأخيرة (وأغلبه والناس يغلب) غير موجودة في صحيح البخاري وصحيح مسلم / انظر : صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة ٣/٣٩٣:رقم ٥١٨٩صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر حديث أم زرع : ١٨٩٦/٤، رقم ٢٤٤٨.

(٢)رواية الديوان : فلولا .

(٣)ديوان الخنساء : ٢٥٢.

(٤)رواية الديوان :

وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أخِي وَلَكِنْ   أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي

انظر :ديوان الخنساء دراسة وتحقيق ، تحقيق : إبراهيم عوضين : ٢٥٣.

(٥)القائل هو السموأل .

(٦)رواية الديوان : (وما ماتَ منَّا سيدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ).

(٧)ديوان السموأل : ٩١/ وانظره في : تحرير التحبير :٣٥٨/٣ الطراز:١٠٩/٣.

وفي آخر المطاف يسوق لنا السيوطي رأيه بقوله : " قلت : لا يكاد يتبين لي الفرق بين الاحتراس والتكميل " [١].

والسيوطي عند حديثه عن الاعتراض في المعترك والإتقان،ذكر أنَّ قدامة سمَّاه التفاتاً [٢]، وعرَّفه بقوله : " وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير رفع الإيهام " [٣].

كما أورد قول التنوخي في الأقصى القريب مبيناً نكتة الاعتراض ، فقال : " قال في الأقصى القريب : ونكتته إفادة أنَّ هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة، ولو أتى به آخراً لكان الظاهر تأخيره ، فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر " [٤].

وكذلك نجد السيوطي قد أورد النكات الثلاث التي ذكرها القزويني في التلخيص للاعتراض وهي : " التنزيه ، التنبيه ، الدعاء " ، وزاد عليها :

١- التَّسلِّي ، كقول جرير (ت١١٠هـ) :

وَلَقَدْ أَرَانِي وَالجَدِيدُ إِلى بِلَى ... فِي مَوكبِ طُرُف [٥]الحَدِيث كِرَامِ [٦]

فقوله : " والجديد إلى بِلَى " اعتراض للتعزِّي عمَّا مضى من لذة عشرة الأحباب . [٧]

٢- الاستعطاف ، كقول المتنبي :

وخفوقُ قلبٍ لَو رَأيتِ لَهيبَهُ ... يَا جَنَّتي لَرأيتِ [٨] فيهِ جَهَنَّما [٩]

---

(١)شرح عقود الجمان : ٢٤٦/١.

(٢)نقد الشعر ، قدامة بن جعفر : ١٥٠.

(٣)المعترك : ٢٨١/١، الإتقان : ٩٧/٢.

(٤)المعترك : ٢٨٢/١، الإتقان : ٩٧/٢ .

(٥)رواية الديوان " فِتْيَة " .

(٦)شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل الصاوي : ٥٥١/١.

(٧)التبيان : ٤٩٣.

(٨)رواية الديوان : لَظَنَنْت.

(٩)ديوان المتنبي : ٢٨/٤.

وقول كثير (ت١٠٥هـ) :

لَو أنَّ البَاخِلِينَ – وَأنْتِ مِنْهُم – رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ المِطَالاَ [١]

ووقف السيوطي أمام هذا البيت مظهراً استحسانه وطربه له ، حيث علّق عليه :" بأنَّ الاعتراض هنا في غاية الحسن " [٢] ، وهذا دليل على رهافة حس السيوطي ، وحسن تذوقه البلاغي .

ثم أخذ السيوطي يعرض علينا صوراً أخرى للاعتراض لم يذكرها صاحب التلخيص ، في تلخيصه وإن كان قد ذكرها في الإيضاح[٣] وهي :

١- وقوع الاعتراض بثلاث جمل ، كقوله تعالى :﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[٤].

وقوع الاعتراض بسبع جمل ، كقوله تعالى :﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ إلى قوله: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ ﴾[٥]، إذا أعرب حالاً منه .[٦]

٢- أن يقع اعتراض في اعتراض [٧] ، نحو قوله تعالى :﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[٨] ، فقوله : "وإنَّه لقسم" اعتراض ، وقوله : " لو تعلمون " اعتراض في اعتراض .

(١)ديوان كثير عزة ، تحقيق : إحسان عباس : ١٥٨.

(٢)شرح عقود الجمان : ٢٤٩/١.

(٣)الإيضاح:٢١٧/٣.

(٤)هود : ٤٤.

(٥)الرحمن : ٥٤.

(٦)عروس الأفراح : ٢٤٤/٣-٢٤٥.

(٧)التبيان ، الطيبي : ٤٩٤، عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي : ٢٤٥/٣.

(٨)الواقعة : ٧٥- ٧٧ .

وممَّا يظهر لنا حسن تذوق السيوطي ، وجهده البلاغي في تتبع الزيادات والإضافات المفيدة في شرحه ، ما جاء به من قول الطيبي الذي يبيِّن لنا أوجه الحسن في الاعتراض ومزاياه البلاغية وتأثيره في النفس . قال[1]: " قال الطيبي ووجه الاعتراض ، حسن الإفادة مع أنَّ مجيئه مجيء مالا يترقب ، فيكون ألذ ، كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب، وقال قوم: يجوز وقوع الاعتراض في آخر الكلام ، فقد يجامع التكميل والتذييل،حيث لا محل لهما ، وقال قوم : يجوز أن يكون غير جملة ، لكن في الأثناء ، فيجامع من التتميم والتكميل ما وقع في الأثناء" [2] .

ثم ذيَّل السيوطي آخر فصل الإطناب ، بفوائد تنبئ عن فطنته وسعة إدراكه ، وتمكُّنه واقتداره من فن البلاغة ، حيث أفاد أنَّ هناك مصطلحات تختلف في مسمياتها ، وتتلاقى في معانيها ، فما أورده أصحاب البديع من معنى الإشارة ، هو عنده الإيجاز بعينه . وما ذكروه من مصطلح البسط ،هو في نظره الإطناب . ولكنَّه خاص عنده بالإطناب عن طريق تكثير الجمل ، فهو على ذلك مقابل لإيجاز القصر ، وما تبقى مقابل لإيجاز الحذف ، قال : " ذكر قدامة [3]من أنواع البديع الإشارة ، وفسَّرها بالإتيان بكلام قليل ذي معان جمَّة ، وهذا هو الإيجاز بعينه ، وذكر جماعة منها البسط ، وفسَّروه ببسط الكلام وتكثيره بلا حشو ، وهذا هو الإطناب ، لكن ينقدح عندي أنَّه خاص بنوع واحد منه ، وهو الإطناب بتكثير الجمل بخلاف الأنواع السابقة ، وعلى هذا يكون مقابلاً لإيجاز القصر ، والإطناب بالأنواع السابقة مقابلاً لإيجاز الحذف " [4].

---

(١)شرح عقود الجمان : ١/٢٤٩، المعترك : ١/٢٨٢، الإتقان : ٢/ ٩٧ .

(٢)التبيان: ٤٩٤.

(٣)نقد الشعر : ١٥٤.

(٤)شرح عقود الجمان : ١/٢٥٠.

وبهذا يظهر جهد السيوطي البلاغي في هذا الباب، بما ساقه من أنواع لم يذكرها صاحب التلخيص، بل لم يجمعها – فيما يبدو – أحد قبله . وبما حفل به الفصل من لطائف بلاغية وشواهد وأمثلة، تظهر فيها الدقائق والنظرات البلاغية القيمة، التي اعتنى السيوطي بجمعها من مصادر مختلفة، كما نراه يشارك في عملية إمداد الدرس بأمثلة من عنده. وهو حين يعرض الآراء لا يقف أمامها وقفة جامدة، بل يقف وقفة الخبير المتذوق، فجمعه لهذه المادة الحافلة بالتوجيهات البلاغية، لهو دليل على رفيع ذوقه .

فالسيوطي لم يكن مقلّداً، بل كان يُعمل فكره ويستعين بمحفوظه وثقافته البلاغية التي ساعدته في تقديم الموضوع بطريقة ميسرة جامعة. وقد صدق حين قال: إنّه رزق التّبحر في سبعة علوم ومن بينها " علم البلاغة " [1].

* * *

---

(١)حسن المحاضرة: ٣٣٨/١ .

خاتمـــة:

استطاع الامام السيوطي من خلال تبحُّره في علوم البلاغة بفروعها الثلاثة (معاني- بيان- بديع) أن يثري درس الإيجاز والإطناب والمساواة بمناقشاته وتحليلاته وآرائه البلاغية القيِّمة، وبما ساقه من أنواع لم يذكرها صاحب (التلخيص) ، إلى جانب إضافاته لأنواع جديدة لم يلتفت إليها أحد قبله . وبما حفل به الفصل من لطائف بلاغية وشواهد وأمثلة ، تَظْهَر فيها الدقائق والنظرات البلاغية ، التي اعتنى السيوطي بجمعها من مصادر مختلفة . كما نراه يشارك في عملية إمداد الدارس من محفوظه . فالسيوطي لم يكن ناقلاً لآراء غيره فقط، بل كان يعمل فكره ، ويقف أمام كثير من الأفكار يقلبها على أوجهها،فإن وجدت لديه القبول أثبتها وإلاّ بيَّن لنا وجهة نظره في عدم قبولها، أو نراه يهملها ولا يذكرها. فنراه وقف أمام درس (المساواة) وقفة المتذوق الخبير ، فهو لم يرفض وجودها في الكلام رفضاً تاماً، ولكنَّه يخرجها عن دائرة البلاغة وفن التعبير الأدبي الغني بالإيحاءات والدلالات، فهي لا تكاد توجد في القرآن.وإنِّي أميل إلى رأي السيوطي هذا ،وأجد أنَّ المساواة قد " ترتبط بالأسلوب التقريري النمطي الذي يتقيد بالمعنى الوضعي دون أن تتجاوزه لتحقيق قيم فنية في التعبير الأدبي"(١) ؛ ولأنَّه من الصعب أن تكون الألفاظ محكمة على قدر المعاني كأنَّها قوالب لها ، لأنَّ الألفاظ قد تحمل دلالات ثرية ، وحينذاك تكون موجزة مكثَّفة بما تحمل من أفكار ومشاعر ، كما أنَّها قد تترادف أو تتكرر،وحينذاك تدخل في مجال الإطناب الذي تزيد فيه العبارة لمقتضيات بلاغية يقصدها البليغ في تعبيره (٢).

---

(١)دراسات في المعاني والبديع ، عبد الفتاح عثمان : ١٢٥.

(٢)المرجع السابق : ١٢٣.

ويخالف السيوطي صاحب (التلخيص) ويعترض عليه في الآيتين اللتين ضربهما مثالاً للمساواة، ويجلب الردود عليها ، كما يقف مرة أخرى مخالفاً له عند تحليله لقول الحارث بن حِلّزة:

والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلا   لِ النَّوكِ مِمَّن عَاشَ كَدَّا

فبينما رأى الخطيب أنَّ اللفظ غير وافٍ بالمعنى ، نجد السيوطي يرى عكس ذلك ويجعله من باب الاحتباك.

وفي درس الإطناب عند حديثه عن عطف العام على الخاص ، نراه لم يتبع القزويني في عدم ذكر هذا النوع ، ولم يجار من أنكر وجوده ، بل ذكره ، وخطّأ من أنكره وبيَّن فائدته وضرب له الأمثلة.

وعند حديثه عن أسباب الإطناب ومرور ذكر التذييل والتكميل والتتميم ، لم يفته أن يأتي بآراء العلماء في التفريق بين التكميل والتتميم والاحتراس ، فجاء برأي بهاء الدين السبكي ورأي ابن حجة الحموي ورأي عبد الباقي اليمني ، ثم ذيَّل الكلام برأيه هو في الموضوع ، إذ صرح بعد سرد تلك الأقوال بأنه لا فرق عنده بين الاحتراس والتكميل .

كذلك أشار إلى أنَّ التكميل قد يسمى احتراساً - موافقاً بذلك الخطيب القزويني - ولكن قوماً من أصحاب البديعيات فَرَّقوا بينهما، ومن أولئك ابن حجة الحموي ، ثم صرَّح السيوطي بأنَّ الفرق الذي أورده ابن حِجَّة غير واضح .

ولم يقتصر جهد السيوطي على المناقشات البلاغية ، بل نراه يضيف أنواعاً وألواناً بلاغية في كلٍ من الإيجاز والإطناب ،لم يذكرها صاحب التلخيص ويضرب لها الأمثلة والشواهد المحلّلة مظهراً لطائفها وأسرارها البلاغية.

ففي درس الحذف ذكر أنواعاً لا نجد الحديث عنها دائراً في الكتب البلاغية بهذا التفصيل ، وهذا التقسيم ، وهذه الغزارة في الأمثلة والشواهد . وهذه الأنواع هي : الاقتطاع، الاكتفاء، الاحتباك ، الاختزال . وتحت النوع الأخير أدخل حذف الكلمة والحرف والجملة وحذف أكثر من جملة.

ومن إضافاته في درس الإطناب ، أنّ القزويني ذكر ثمانية أنواع فقط ، أمَّا السيوطي فقد أوصلها إلى واحد وعشرين نوعاً.

وعند حديثه عن الأنواع التي ذكرها القزويني ، نجده لا يقف عند حدود النقل ، بل يثريها بالأمثلة والشواهد والتحليلات ، أو بزيادة تعريف أو إضافة نكات ولطائف بلاغية ،أو مناقشات جرت في الموضوع بين العلماء.

فنراه اهتم بالتكرير اهتماماً بالغاً ، وحاول استقصاء أسراره البلاغية ما أمكن . كما أورد عدداً من الآيات أفاد أنّه يظن أنّ فيها تكريراً، وليس منه.

وممَّا أضافه السيوطي من زياداته في أنواع التكرير" الترديد ، التعطف ، الترجيع " .

كما تحدَّث عن تكرير الأمثال، وتكرير القصص . والأسرار البلاغية له .

كذلك أضاف إلى نكات الاعتراض: " التسلي ، الاستعطاف " ثم عرض صوراً أُخرى للاعتراض لم يذكرها صاحب التلخيص ، وهي أن يقع اعتراض في اعتراض ، وقوع الاعتراض بثلاث جمل، وقوع الاعتراض بسبع جمل .

والسيوطي عند ذكره للإيضاح بعد الإبهام ، وأنّ منه التوشيع ذكر نوعاً من التوشيع ، أورده عبد الباقي اليمني ، ونبَّه السيوطي على نوع منه لم يرَ من نبَّه إليه قبله . أي أنّه من اختراعه .

أمَّا أنواع الإطناب التي زادها السيوطي ، فهي :

١- تكثير الجمل .

٢- التأكيد بحروف التنبيه والصلات .

٣- التأكيد الصناعي ، وجعله على أربعة أقسام .

٤- الإطناب بزيادة الصفة ، وترد لأسباب خمسة .

٥- البدل ، ذكر أنَّ القصد منه الإيضاح بعد الإبهام ، وفائدته البيان والتأكيد .

٦- عطف البيان .

٧- عطف أحد المترادفين على الآخر .

٨- عطف العام على الخاص .

٩- التفسير .

١٠- وضع الظاهر موضع المضمر .

١١- الطرد والعكس .

١٢- الاستقصاء .

١٣- التعليل .

والسيوطي الذي يفتخر بأنَّه رزق التَّبحُّر في سبعة علوم من بينها علم البلاغة ، يثبت لنا عملياً هذا التَّبحُّر بما يورده من آراء العلماء وأقوالهم في النقطة الواحدة ، إثراء للموضوع ، وإضفاء للسعة على الذوق ، وكأنَّه بذلك يلمِّح إلى أنَّ مجال الذوق مفتوح في البلاغة لكل متمرس ، وأنَّ الذوق لا تحكمه قاعدة معينة كما يظهر لنا تمكنه من علم البديع وميله إليه ، ففي إيجاز القصر أشار إلى أنَّ بعض علماء البلاغة ، ذكروا مصطلحات وأنواعاً من البديع جعلوها من إيجاز القصر ، ومن ذلك : الإشارة ، والتضمين ، والاتساع ، ومنهم من جعل باب الحصر ،

وباب التنازع ، وحذف المفعول اختصاراً على المتعدي كاللازم ، وجميع أدوات الاستفهام ، وألفاظ العموم ، كل ذلك من إيجاز القصر .

وقد ذكر لنا السيوطي فوائد تنبئ عن فطنته وسعة إدراكه وتمكّنه واقتداره من فن البلاغة ، حيث أفاد أنَّ هناك مصطلحات تختلف في مسمياتها وتتلاقى في معانيها ، فما أورده أصحاب البديع من معنى الإشارة هو عنده الإيجاز بعينه ، وما ذكروه من مصطلح البسط هو في نظره الإطناب ، ولكنَّه خاص عنده بالإطناب عن طريق تكثير الجمل ، فهو على ذلك مقابل لإيجاز الحذف .

وكثيراً ما نلحظ شخصية السيوطي الحديثية ، تدخل في وسط الحديث موضّحاً بها بعض الفوائد ، كما فعل عند ورود قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (١) في الإيجاز الجامع ، فذكر ما ورد في فضلها من أحاديث .

و لم تقف شخصيته الحديثية عند هذا الحد ، بل نراه يستعين بمحفوظه من الأحاديث مع ذكر الرواة ، عند حديثه عن التوشيع ، حيث بلغ ما ذكره منها ثلاثة عشر حديثاً، وذكر حديثين في نوع جديد نبَّه إليه .

إنَّ أكثر من تأثر بهم السيوطي في درس الإيجاز والإطناب ، الإمام الطيبي وبهاء الدين السبكي ، وقد صرَّح في مواضع كثيرة بأخذه عنهما ، كما وردت أسماء : عبد الباقي اليمني ، حازم القرطاجني ، والزمخشري ، وابن الأثير ، وابن مالك ، وابن أبي الإصبع وسعد الدين التفتازاني ، وأبو بكر الباقلاني ، والتنوخي ، وعبد القاهر الجرجاني .

---

(١)النحل : ٩٠.

يظهر أنَّ جهد السيوطي في المعترك والإتقان في درس الإيجاز والإطناب ، كان أكثر نضجاً ، وأوسع مجالاً ، وأرحب ميداناً من شرح عقود الجمان ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ الهدف من شرح العقود ، هو شرح كتاب بعينه ، وهو التلخيص ، فلا مجال للتوسع في الموضوع ، أمَّا في المعترك والإتقان ، فكانت الموضوعات مستقلة وبحاجة إلى جمع كل ما يدور حول الموضوع ، لأنَّه كان بصدد إثبات إعجاز القرآن .

وحقيقة فإنِّي لم أجد أحداً ممن سبق السيوطي أو عاصره ، أو جاء بعده ، قد صنع صنيعه ، وتحدَّث بهذا التفصيل ، وهذه الغزارة في الاستشهاد ، وجمع المادة بهذا الحسن في التقسيم ، مع إيراد أنواع جديدة في الحذف والإطناب .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **الإتقان في علوم القرآن** ، جلال الدين السيوطي ، ط٤، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨م.

٢- **أدب الكاتب**، ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(ط.د)، دار المطبوعات العربية، بيروت، لبنان، د.ت .

٣- **الأسماء والصفات** ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه:عبد الرحمن عميرة ،ط١، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤- **إعجاز القرآن** ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ،ط٤، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ،(د.ت) .

٥- **إعراب القراءات الشواذ** ، أبو البقاء العكبري ، دراسة وتحقيق : محمد السيد أحمد عزوز ، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٧- **الإيضاح في علوم البلاغة** ، الخطيب القزويني ، تحقيق : رحاب عكاوي ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٠م.

٨- **الإيضاح في علوم البلاغة** ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي، ط٥، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان١٤٠٠هـ

٩- **البرهان في علوم القرآن** ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،(د.ط)، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠- **البلاغة تطور وتاريخ**، شوقي ضيف،ط٨، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٩٢م .

١١- **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة، شرحه ونشره، أحمد صقر،ط٢، دار التراث، القاهرة(د.ن)، ١٣٩٣هـ .

١٢- **التبيان في البيان** ، الطيـبي ، تحقيق ودراسة : عبد الستار حسين زموط ،ط١، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣-**تحريـــر التحـــبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، ابن أبي الإصبع، (د.ط)، (د.م)،(د.ت) .

١٤-**التعليق المغني على الدار قطني**، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مطبوع بهـــامش ســـنن الدارقطني، تحقيق:السيد:عبدالله هاشم اليماني، القاهرة، مصر، دار المحاسن للطباعة،١٣٨٦هـــ - ١٩٦٦ م.

١٥-**التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني،عني بتصحيحه والتعليق عليه السيد:عبدالله هاشم اليماني،دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٨٤هـــ- ١٩٦٤م.

١٦-**التلخيص في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني،ضبطه/عبدالرحمن البرقوقي،ط١، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،١٣٢٤هـــ - ١٩٠٤م.

١٧-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،ط٣،شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده،القاهرة مصر،١٣٨٨هـــ.

١٨-**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (د.ن)، ١٣٨٧هـــ .

١٩-**خـــزانة الأدب وغايـــة الأرب**، ابن حجة الحموي، (د.ط)،مطبعة بولاق، القاهرة، مصر، ١٢٨٣هـــ - ١٨٥٣م.

٢٠-**الخصـــائص**، أبو الفتح عثمان بن جني، حققه: محمد علي النجار، ط٨، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د.ط).

٢١-**دراســـات في المعاني والبديع**، عبدالفتاح عثمان، (د.ط)، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٢-**دلائل الإعجاز**، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، (د.ط)،مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،(د.ت).

٢٣-**ديـــوان أبي الطـــيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديـــوان**، طبعه وصححه: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـــ -١٩٧٧م.

٢٤-**ديــوان البحتري**، تحقيق:حسن كامل الصيرفي ، ط٢، دار المعارف، القاهرة ، مصر (د-ت).

٢٥-**ديــوان الحــارث بن حلزة**، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،١٤١١هـ -١٩٩١م.

٢٦-**ديوان الخنساء**، دراسة وتحقيق:إبراهيم عوضين، ط١ ،مطبعة السعادة، القاهرة، مصر ١٤٠٦هـ.

٢٧-**ديوان السموأل**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ن).

٢٨-**ديوان كثير عزة**، تحقيق :إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان،١٣٩١هـ.

٢٩-**سر الفصاحة**،ابن سنان الخفاجي،شرح وتصحيح:عبدالمتعال الصعيدي(د.ط)،مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده،القاهرة،مصر،١٣٨٩هـ.

٣٠-**ســنن ابن ماجه**،أبوعبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي،(د.ط).

٣١-**سنن الدار قطني**، علي بن عمر، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة، مصر، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٣٢-**شــرح ديــوان جريــر**،محمــد إسماعــيل الصاوي،(د.ط)،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،(د.ن).

٣٣-**شرح عقود الجمان**،جلال الدين السيوطي،ط٢،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،١٣٧٤هـ.

٣٤-**شــرح عقــود الجمــان**، عبدالرحمن العمري، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر،١٣٧٤هـ(ضمن شرح عقود الجمان للسيوطي).

٣٥-**الشــعر والشــعراء**، ابــن قتيبة، تحقيق:أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي للطباعة، القاهرة،مصر،١٣٩٨هـ- ١٩٧٧م.

٣٦-**صحيح البخاري**،أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،(د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٧-**صـــحيح مســـلم**،أبـــو الحســـين مســـلم بـــن الحجاج،(د.ط)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،(د.ط).

٣٨-**صـــحيح سنن ابن ماجه**،محمد ناصر الدين الألباني،أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرســـته:زهير الشاويش،ط٣،مكتب التربية العربي لدول الخليج،الرياض،المملكة العربية السعودية،١٤٠٨هـــ- ١٩٨٨م.

٣٩-**الصناعتين(الكتابة والشعر)**،أبو هلال العسكري،حققه:مفيد قميحة،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤٠١هـــ-١٩٨١م.

٤٠-**طـــبقات الشـــعراء**،ابن المعتز،تحقيق:عبد الستار فراج،ط٣،دار المعارف، القاهرة، مصر،(د.ط).

٤١-**عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص)** ، بهاءالدين السبكي ، (د.ط)،دار السرور،بيروت،لبنان،(د-ط).

٤٢-**غرائب التفسير وعجائب التأويل**،محمود بن حمزة الكرماني،تحقيق: شمران العجلي، ط١،دار القـــبلة للـــثقافة الإسلامية،جدة،المملكة العربية السعودية،مؤسسة علوم القرآن،بيروت،لبنان،١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م.

٤٣-**الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، صلاح الدين الصفدي،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـــ .

٤٤-**الفهرست**،ابن النديم،(د.ط)،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،(د.ط).

٤٥-**الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم جارالله محمود الزمخشري، ط١،دار الفكر،(د.م)،١٣٩٧هـــ.

٤٦-**المـــثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ابن الأثير،قدَّم له وحققه وعلق عليه:أحمد الحـــوفي، بـــدوي طبانة، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ١٣٧٩هـــ-١٩٥٩م.

٤٧-**مجمع الأمثال**،الميداني، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـــ-١٩٧٣م.

٤٨-**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**،أبو الفتح عثمان بن جني، تحقـــيق: علي النجدي ناصف، (د.ط)،الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشـــؤون الإســـلامية،لجنة إحياء التراث الاسلامي،القاهرة، مصر،١٣٨٩هـــ-١٩٦٩م.

٤٩-**مختصـــر السعد(ضمن شروح التلخيص)**، سعدالدين التفتازاني(د.ط)،دار السرور، بيروت،لبنان،(د.ت).

٥٠- **مـــروان بـــن أبي حفصة وشعره**، قحطان رشيد التميمي،(د.ط)،مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ١٩٧٢م.

٥١- **مسند الإمام أحمد**،أحمد بن محمد بن حنبل ،ط٢، المكتب الإسلامي ، بيروت لـــبنان،١٣٩٨هـــ-١٩٧٨م.

٥٢- **مسند الإمام الشافعي**،أبوعبد الله محمد بن إدريس الشافعي،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.

٥٣- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، تحقيق: محمد المنتقي الكشناوي، ط١، دار العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،١٤٠٥هـــ.

٥٤-**المطول على التلخيص**، سعد الدين التفتازاني، طبع ونشر، صحاف قريمي يوسف ضياء، مطبعة أحمد كامل، (د.ن)، ١٣٣٠هـــ .

٥٥-**معترك الأقران في إعجاز القرآن**،جلال الدين السيوطي،ضبطه وصححه وكتب فهارسه:أحمد شمس الدين،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤٠٨هـــ.

٥٦-**معجـــم الشـــعراء**، أبوعبـــيدالله محمد بن عمران المرزباني،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

٥٧-**مفتاح العلوم**، أبو يعقوب السكاكي، حققه وقدَّم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م.

٥٨-**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**،أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق:محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،١٩٨٦م.

٥٩-**النشـــر في القراءات العشر**،الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بـــابن الجـــزري،قدَّم له/علي محمد الضباع،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ١٤١٨هـــ- ١٩٩٨م.

٦٠-**نصـــب الـــراية لأحاديـــث الهدايـــة**، أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، ط١، مطبوعات المجلس العلمي،الهند،(د.ت).

٦١-**نقد الشعر**،قـــدامة بن جعفر،تحقيق وتعليق:محمد عبد المنعم خفاجـــي، (د.ط)،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،(د.ت).

٦٢-**نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين النويري، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،مصر،(د.ط).